صراحة

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2451) السنة التاسعة

الخميس (12) نيسان 2012

2

فقيه القانون... ورجل السياسة

سالم عبيد النعمان

رحيل رمز متألق من زمن التوهج:

سالم عبيد النعمان وطنيٌ تماهى مع الحلم..

فخري كريم

لأن الحكم الملكي المؤسّس بإرادة الانتداب البريطاني على قاعدة طائفية تلغي المواطنة الحرة المتساوية، اختلطت الانتماءات الفكرية والسياسية من وجهة نظر النظام الملكي فأفردت مادة واحدة لملاحقة جميع الأحزاب والتنظيمات والقوى الوطنية ونشاطاتها السياسية والنقابية والصحفية تحت تهمة « مكافحة الشيوعية « دون أن تميز آنذاك بين معتقل منتم للحزب الوطني الديمقراطي او حزب الاستقلال او الحزب الشيوعي، دون استثناء البعثيين . لكن التمييز كان يطاول أساليب التعذيب التي تمارس ضد كل فئة أو شدة الاعتقال أو مدة الحكم والسجون التي تخصص لها .

وقد فهم الانكليز وأعوانهم من رهط نوري السعيد وبهجة العطية أن العراقيين موحدون في مواجهتهم، لا تفرقهم العصبيات المذهبية كما العشائرية والدينية والقومية، يجمعهم الكفاح المشترك في سبيل الانعتاق والتحرر الوطني والتطور الاجتماعي والاقتصادي والتوق لبناء نظام ديمقراطي ودولة مدنية مؤسساتية .

في تلك المرحلة النضالية المجيدة من تاريخ العراق ، كانت مدن « عنه » و « هيت » و « راوه » وحديثه « مراكز إشعاع سياسي وفكري، مدّت الحركة الوطنية بكل روافدها بكوادر بارزة، أصبحت علامات مضيئة على طريق النضال الوطني والديمقراطي، واحتلت مواقع قيادية في الأحزاب والنقابات والمنظمات الاجتماعية والثقافية وفي حركة السلام وغيرها من الأطر التي كان لها دور فاعل في إنهاء الحكم الملكي وفي المراحل التي تبعتها.

ومن مشهد تلك الأيام الخالدة، تطل علينا أسماء مأثرة دنيانا بقيم الوطنية الحقة والمبادئ الإنسانية التي تجاوزت كل العصبيات والانتماءات الثانوية، ولم تكن لتلك الأسماء معانٍ أو رموز طائفية أو ما يشوب هويتها الوطنية، بل لم يكن في التقاليد المتعارفة التساؤل عن ذلك أو الاهتمام بتعريف تلك الرموز بأصولها الثانوية. كما لم يكن خارج السياق تقديم شخصية سياسية من المدن الغربية « سنيٌ » بالتعريف الدارج اليوم ، انتخابيا في كربلاء أو النجف ، والعكس صحيح أيضاً ، أو شخصيات كردية من المدن الكردستانية في المحافظات العربية .

في تلك الأيام التي كان « أشباه الرجال « فيها يصطفون مع النظام الملكي ويغدون نعراته المذمومة، كما يفعل أحفادهم اليوم من مروجي النعرات الطائفية والمذهبية والعشائرية والمناطقية، كان « العيب « أن تدعي أي انتماء غير الانتماء إلى الحركة الوطنية والانحياز إلى شعاراتها الديمقراطية وولائها للتحرر والتقدم والقيم الإنسانية الرفيعة .

في زمن الوطنية والقيم الإنسانية، برز اسم سالم عبيد النعمان من عائلة متوسطة، عرفت بوطنيتها في مدينة عنه، ومن تلك المدينة انتقل مع أسماء لامعة في سماء الحركة الوطنية إلى بغداد ، وبالمصادفة أو الميل إلى ميدان يتسم بالدفاع عن العدالة المفقودة انضم إلى كلية الحقوق، كما فعل عزيز شريف وعامر عبد الله وتوفيق منير وعبد الرحيم شريف أبناء مدينته، والتقى مع أبناء آخرين للمدينة في إطار الحركة الوطنية، ثابت حبيب العاني وعزيز الشيخ وشريف الشيخ والعشرات من الشخصيات المؤثرة التي أفرزتهم مدن لواء الدليم « الأنبار « تتلألأ بينهم نزيهة الدليمي مؤسسة الحركة النسائية العراقية وأول امرأة استوزرت في العالم العربي.

انضم سالم عبيد النعمان في وقت مبكر من حياته إلى الحزب الشيوعي العراقي ، وزامل الشهداء فهد وحازم وصارم في سجنهم الذي انتهى بهم إلى الإعدام ، ومنذ ذاك الحين لم يتراجع عن المثل والقيم التي تعلمها من انتمائه، فظل وفياً لها مشدوداً إلى نماذجها حتى اللحظة الأخيرة من حياته. ورغم بلوغه التسعين بقي نور اليقين الإنساني متوهجاً في كيانه يرى الأشياء والأحداث بمناظرها ، لا يحيد عنها أو يتسلل الشك إلى يقينه وإيمانه بالإنسان كقيمة لا تسمو عليها أي قيمة أخرى .

في سنوات المواجهة والقتل على الهوية، بقي محجوزاً في بيته مع أبنائه وأفراد عائلته الذين تخلقوا بقيمه، دون أن يرف له جفن أو يتسلل الخوف إلى قلبه، بل كان مهموماً وقلقاً على الناس الذين يطاولهم الموت دون ذنب أو حتى انتماء سياسي سوى الهوية المذهبية .

كان سالم عبيد النعمان ابن « عنه « غريباً عن أولئك الذين يبشرون بالانتماء الفرعي المذهبي، ويرى في ذلك انحداراً وانحطاطاً وانسلاخاً عن الكينونة الإنسانية الرفيعة. ورغم الحجز الاحترازي في بيته تجنباً للتعرض لخطر التكفيريين و أعباء السنين التي أرهقت كاهله المتعب، وهو الذي ذاق مرارة السجن والتعديات والملاحقات، فقد بقيت ذاكرته متوقدةً أنتجت وهو على مشارف التسعين كتابين تاريخيين تسجيليين، يضعان أمام هذا الجيل المغيب عن أنوار المراحل الوطنية التأسيسية ومضات فكره وقيمه وعطائه الوطني النيّر، التي تعكس أفكار وقيم ذاك الزمان الذي خلق بتضحيات أبنائه ممكنات الانفتاح على الأمل بعالم جديد تسوده العدالة الاجتماعية والمساواة والرفاه والحرية..عالم تغيب منه كل الترهات التي أنتجتها وتعيد إنتاجها كل يوم ممالك الطوائف ومروجو مسلسلات الأزمات والفتن الطائفية ويلتاع في أتون صراعاتها على نهب المال العام والإفقار وإشاعة قيم التحريم وتابوات التخلف والفساد ملايين العراقيين من كل الطوائف والملل.

رحل سالم عبيد النعمان دون ان ينسى تأكيد هويته الوطنية، في زمن سيادة الهويات الفرعية المقيتة، وهو على فراش الموت ليوصي أبناءه البررة بدفنه في كردستان، كإعلان عن ترسيخ ملامح هويته الوطنية المتعالية على النزعات الموغلة في التجني..

برحيله لن تنطفئ روح ذلك العصر الوطني المهيب.. بل ترتقي بنا قيم ذلك العصر إلى عالم منشود إنساني الومضات ، لتظل منارتها تهدي أجيالا أكثر مضاءً وتحدياً وتمسكاً بالجمال والحقيقة والعدالة ..

وداعاً أيها الطيف الآتي من زمن الحلم والأمل والوعد الذي لا يتراجع..

سالم عبيد النعمان

فقيه القانون ورجل السياسة

عبد الحميد الرشودي
باحث ومؤرخ

نعت انباء اربيل يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شباط ٢٠١٢ رحيل الاستاذ المفكر فقيه القانون سالم عبيد النعمان فعز ذلك على عارفي فضله من الاصدقاء والزملاء لما كان يتمتع به الراحل الكريم من خلق رضي وعلم غزير يشهد له بذلك كل من قدر له ان يصحبه او يحضر مجلسه ايام الجمع التي كانت تتجسد به الوحدة الوطنية باحلى صورة واسمى معانيها فلا غرو ان ترى في مجلسه الناس من مختلف الطبقات تباين الاتجاهات فترى فيهم من اقصى اليمين الى اقصى اليسار وقد جلسوا يصغون الى رب المجلس ويتناقشون بمختلف الموضوعات دون الغاء لشخص الاخر وكانهم اخوان على سرر متقابلون يتبادلون الاحترام والتقدير وذلك بفضل الاستاذ ابي غانم الذي زرع المودة والاحترام بين الجميع وخفف شافة العداوة وابغضاء من نفوسهم.

ولد الفقيد العزيز في مدينة عنه سنة ١٩٢٣ في اسرة ميسورة الحال تعرف بيت قزان وكان منذ طفولته تبدو عليه مخايل النجابة والذكاء وحين شب على الطوق التحق بمدرسة عنة الابتدائية وكانت المدرسة الوحيدة يومذاك في مدينة عنه فاقبل على دروسها بشغف ونهم شأنه شان الغابية من ابناء تلك المدينة التي ان اجدبت ارضها وجف ضرعها وقل رزقها فقد عوضها الله بان جعلها خصبة بابنائه غنية برجالها الذين عرفوا بالذكاء الفطري واعتدال المزاج وصحة الابدان وصباحة الوجوه لذا نجد ان هذه المدينة التي تغفو على ضفة الفرات اليمنى وبين الجبل قد ضاقت بطموح ابناءها وتطلعاتهم فاندحت موجات منهم ينشدون مدينة ارحب واوسع لتحقيق طموحاتهم في مواصلة الدرس والتماس فرص عمل جديدة لم تكن تتوفر في مدينتهم الصغيرة المهمة النائية عن العاصمة وكانت الطليعة الاولى من هؤلاء الوافدين عبد الفتاح اراهيم وعزيز شريف وتوفيق منير الذين كان لهم دون ريادي في الدعوة الى النظرية الاشتراكية العلمية وتحرير الفكر من الاوهام والخرافات التي نسجتها عصور الظلم والظلام فقد ادركت هذه النخبة المستنيرة ان سبب تخلف البلاد وشقاء العباد يعود بالدرة الاولى الى اسباب وعوامل اقتصادية وسوء توزيع الثروة وعدم اتاحة الفرص المتكافئة امام المواطنين مما جعل الثروة تتركز في ايد قليلة وان يكون نصيب الاكثرية الحرمان وشظف العيش والامراض التي بسببها سوء التغذية:

كم فم تطعمه الف يد
ويد يلثمها الف فم

ثم جاء بعد ذلك دور الطليعة الثانية ابان الاربعينات متمثلة بسالم عبيد النعمان وشريف الشيخ وعامر عبد الله وعبد الرحوم شريف وواصلوا ما بدأت به الطليعة الاولى.

اسماء اخرى

على ان هذا لا يعني ان ابناء عنة اقتصروا على هذا الاتجاه بل هناك اسماء اخرى لمعت في ميادين القانون والشريعة والاقتصاد والدبلوماسية والطب اذكر منهم على سبيل التمثيل ولا التحصيل.:

١- منير القاضي عميد الحقوقيين لاجيال عدة واستاذ الشريعة الاسلامية وشارح مجلة الاحكام العدلية والقانون المدني رقم ٤ لسنة ١٩٥١ الذي سماه ملقنني البحرين – اي الفقه الاسلامي والفقه العربي.

٢- عبد الرحمن البزاز – وهو من قرية المعاضيد – عميد كلية الحقوق وقد بذل جهودا عظيمة لاصلاحها واعادة اعمارها كما تولى رئاسة الوزراء وكان منهاجه هو اعادة الوجه المدني للحكم واجراء انتخابات وسن الدستور الدائم ولكن الاطماع والانانيات لبعض الساسة المرتزقة استمروا به حتى اضطروه الى الاستقالة ففوتوا بذلك فرصة العمر على الشعر العراقي الذي لم ينعم بالراحة والاستقرار بعده.

٣- حامد مصطفى: خريج السوربون والاستاذ في كلية الحقوق ورئيس ديوان التدوين القانوني.

٤- هاشم جواد (الاوقاتي) وزير الخارجية الذي قتل ظلما وعدوانا في بيروت وكان خبيرا دوليا في شؤون العمل والعمال.

٥- شفيق العاني: رئيس محكمة التمييز.

٦- الدكتور عبدالرزاق عبد الوهاب: رئيس محكمة التمييز.

٧- كما انبثت هذه المدينة الولود عالم الاقتصاد الدكتور محمد سلمان حسن صاحب المؤلفات العديدة في الاقتصاد والتنمية واشهرها اطروحته (التطور الاقتصادي في العراق).

٨- وهناك نخبة من الادباء والشعراء منهم رائد القصة العراقية محمود احمد السيد (ابن عم عبد الفتاح ابراهيم وابن عمة عبد القادر اسماعيل) والشاعر الاستقلالي عبد الرحمن البناء.

٩- ولم يكن حظ ابناء هذه المدينة من الاطباء بالقليل فقد برز منهم الدكتور يوسف العاني والدكتور حميد العاني والدكتور محمد صالح العاني والدكتور عبد الرحيم الخطيب.

ولعل من غرائب الاتفاق ان ثلاثة من ابناء هذه المدينة كانوا وراء تأسيس اول جماعة سياسية تقدمية كان لها اثرها وخطرها في الحركة الديمقراطية في العراق المعاصر هم عبد الفتاح ابراهيم وعزيز شريف وحسين جميل الذي اسسوا جماعة الاهالي وكتبوا مناهجها السياسي في الشعبية واصدروا جريدة الاهالي ناطقة باسم الجماعة والتي صارت فيما بعد مدرسة تعرف بمدرسة الاهالي.

حدثني المرحوم سالم عبيد العاني قائلا (ولما لم تكن في عنة مدرسة متوسطة فقد شددت الرحال الى بغداد وقبلت في مدرسة متوسطة الكرخ وكان النظام المعمول به ان يدخل الطلاب الوافدين من خارج بغداد في القسم الداخلي ولما تعذر ادخال هؤلاء الطلاب في القسم الداخلي خصصوا لكل واحد منا مبلغا شهريا يغطي حاجتنا الى المأكل والمسكن). ثم يمضي – رحمه الله – ويذكر انه عندما انهى الدراسة المتوسطة في الكرخ التحق بالثانوية المركزية فتخرج منها سنة ١٩٤١ ثم تقدم بطلب الى كلية الحقوق ومضى في دراسته حتى تخرج منها سنة ١٩٤٥ وانتسب الى نقابة المحامين ومارس المحاماة في بغداد وعنة.

كلية الحقوق

وقد ذكر لي انه اثناء دراسته في كلية الحقوق اتصل ببعض زملائه من حملة الافكار اليسارية التقدمية فزينوا له الانتماء الى الحزب الشيوعي العراقي مقبل عضوا فيه وكان يومئذ طالبا في الصف الثاني من الكلية فانمغس في صفوف الحركات الوطنية التقدمية وكانت الحكومة في اوائل الاربعينات قد ارخت قبضتها وغضت بصرها عن تحركات الشيوعيين بعد ان انضم الاتحاد السوفيتي الى جبهة الحلفاء التي كانوا يسمونها معسكر السلم والديمقراطية ضد دول المحور وبعد ان وضعت الحرب العالمية اوزارها تالفت وزارة توفيق السويدي الثانية (من ٢٣ شباط الى ٣٠ مايس ١٩٤٦) كان في منهاجها اعادة الحياة الدستورية للبلاد واعادة اجازة الاحزاب السياسية فاجازت وزارة الداخلية بتاريخ ٢٠/ نيسان/١٩٤٦ خمسة احزاب هي حزب الاستقلال وحزب الاحرار والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الشعب وحزب الاتحاد الوطني.

وذكر لي الاستاذ سالم انهم قد تقدموا بطلب اجازة باسم حزب التحرر الوطني وانه كان يراجع المعاملة وقابل وزير الداخلية يومئذ سعد صالح لكنه لم يوافق على اجازة هذا الحزب الذي كان سالم النعمان سكرتيره الى ان اراجعه وادققه لغويا فقمت بهذا التكليف الذي اعده تشريفا وقد كان من كرم خلقه وحميد سجاياه ان يخصني بمقدمة الكتاب بالشكر وان يصفني على صفات لا ارائي اهلا لبعضها فكيف بكلها انها المروءة والاريحية اللتين عرف بهما الراحل الكريم.. هذه بعض اللمحات عن مسيرة هذا الرجل العصامي الذي انبتته تلك المدينة الحدودية النائية كما انبتت اجيالا من امثاله وعذرا للقارئ الكريم فان هناك من المواقف المشرفة في سيرة هذا الرجل ما تضيق به صفحات جريدة يومية وحتى ان تتيح لنا الايام فرصة لنوفي هذا الرجل بعض حقه فان الكثير من حقه قليل.. وان هناك جوانب من مسيرته كممارسة المحاماة وسجنه وتولي القضاء في بعض محافظات العراق وقد توج ذلك باختياره عضوا في محكمة التمييز وقد اخبرني انه طالما اعترض على كثير من قرارات المحكمة ولما كانت العادة ان يقدم العضو المخالف اعتراضه مسببا معللا يقول (وقد عادت المحكمة الى كثير من اعتراضاته واخذت بها لما وجدت فيها من الصحة والسداد وصواب الرأي واصالته مما هو معروف به ومشهود له). تغمد الله الفقيد برحمته والهم اهله وانجاله الكرام الدكاترة، غانم وبيان وسعد جميل الصبر والعزاء.

مواقف مشرفة في مسيرة سالم النعمان النضالية:

١- سعة اطلاعه وطول باعه في المذاهب الفقهية

حدثني رحمه الله وطيب ذكراه قال كنت قاضيا في الحلة وقد عرض علي

محام من السادة آل كمال الدين بانه سيسافر يوم الجمعة الى مدينة النجف ودعاني ان اصحبه اذا كنت راغبا في السفر للاطلاع على معالم المدينة وزيارة بعض رجالها فوافقته على ذلك ولما ازف يوم السفر اتجهنا الى المدينة وتجولنا في اسواقها وشوارعها واطلعنا على معالمها التاريخية ثم قال لي هل لك في زيارة السيد المجتهد الفلاني قلت له هذه فرصة لا تفوت فقصدنا داره ودخلنا حجرته فوجدناه جالساً ارضاً – كعادة المشايخ فقدمني اليه بقوله الاستاذ سالم عبيد النعمان قاضي محكمة بداءة الحلة وما ان سمع بعنوان وظيفي حتى وجه الكلام الي معاتبا وقال كيف تسوغون لانفسكم مصادرة اموال الناس والاستيلاء على ارايهم بغير مسوغ شرعي فقلت له بهدوء ان هذا لا يعد مصادرة ولا استيلاء وانما هو اعادة اموال واراضي مغصوبة الى اصحابها الشرعيين فقال كيف ذلك؟

قلت لان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عندما فتح ارض السواد في العراق حظر على الفاتحين ان يتملكوا شبراً واحداً منها وقال تترك الارض بيد اصحابها ويفرض عليهم الخراج ونبقى رقبة الارض ملكا لبيت مال المسلمين. ولكن بعد ان ضعف الوازع الديني عند خلفاء بني العباس اخذوا يتالفون الاشخاص فمنحوهم الاراضي الواسعة وهو تصرف غير شرعي لانهم ذهبوا مالا يملكون فواقد الشيء لا يعطيه ثم جاء العهد العثماني فزاد في الطين بلة واخذ يقطع الاقطاعات الكبيرة لشيوخ الجنوب والاقطاعيين قوة ضاربة ولما تأسست الدولة العراقية الحديثة سارت في نفس هذا المنحى الخاطئ فاصدرت قانون تسوية حقوق الاراضي رقم (٥٠) لسنة ١٩٣٢ وعززته بقانون منح اللزمة رقم ٥١ لسنة ١٩٣٢ ثم جاء قانون حقوق اللزراع فرسخ اقدام الاقطاعيين وجعل الفلاح قناً تابعاً للارض وصار الاقطاعي يملك الارض ومن عليها وما عليها من بشر وبقر وشجر وصار الاقطاعيون دولة داخل الدولة لهم كلمتهم النافذة ولهم سجونهم الخاصة وطالما اعلنوا عصيانهم واقلقوا الحكومات المتعاقبة بتمردهم ولما جاءت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ارادت ان تزيل المظالم التي لحقت بالفلاحين واعادة حقوقهم اليهم وحدد قانون الاصلاح الزراعي رقم (٣٠) لسنة ١٩٥٨ الحد الاعلى للملكية الزراعية بـ (١٠٠٠) دونم للارض التي تسقى سيما و(٢٠٠٠) دونم للارض التي تسقى ديمة ونزع مازاد وعلى ذلك لقاء تعويض عادل ثم ان تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة امر قال به الفقهاء وقد اكد ذلك الشيخ ابو جعفر الطوسي شيخ الطائفة ومؤسس اول حوزة علمية في النجف كتابه الخلاف وهنا سكن الرجل ولم ينبس سنة شفة.

٢- اصالة الرأي واستقلال الشخصية كان المرحوم النعمان ذا رأي اصيل وشخصية مستقلة ولم يكن امعة يجاري كل ما يطرح من الاراض وانما كان اذا احتدمت الخطوب وادلهمت يصدر عن قناعة ويقين ولا يبالي ارضي القوم ام سخطوا ومن هذه المواقف المشرقة والمشرفة ما حدثنا به في ص ٣١٢ من كتابه "نصف قرن من تاريخ وطن" وهو عرض موجز لتاريخ الحركة الوطنية العراقية (١٩٠٠ – ١٩٥٨) قال في ص ٣١٢ – ٣١٣) وجدت قيادة الحزب الشيوعي ان ارهاب وزارة ارشد العمري وسماح وزارته بانزال قوات بريطانية في البصرة مسألة لايمكن السكون عليها. . فدعا الحزب في اجتماع شبه مغلق بين عدد محدود جدا من المسؤولين .. واذكر انني دعيت الى مقر الحزب حيث فهد وزكي محمد بسيم للتحضير للقيام بتظاهرة حدد لها يوم ٩ ايلول اخذ الرفيق فهد علي على اسماء الاعضاء والمؤيدين الذين سيحضرون معتمداً على تقارير بعض المسؤولين المهمين في حزبي الشيوعي والتحرر يقود النعمان واذكر اني قد توقفت عن تسجيل عدد من سيحضرون من عمال السكك على سبيل المثال ابدى فهد استغرابه لماذا توقفت فقلت له بالنص : "ما يكون لي ان اتوقف عن بعض الارقام المبالغ فيها لو لم اكن مسؤولا عن تنفيذ هذه التظاهرة واتحمل مسؤولية ما سيحدث عن قيامها" وبعد نقاش تدخل الرفيق زكي بسيم فيه فقد جرت تسوية في تقليص بعض الارقام وانزال بعضها خصوصا عدد عمال السكك الذين ذكر الرفيق فهد ان الارقام التي بين يديه الف ومئة شخص خفضها الى ٣٠٠ شخص واني كنت قد علقت على الرقم المبالغ فيه وحتى على ٣٠٠ شخص وقلت ان الذين سيخرجون الى تظاهرة يمكن ان يكونوا عمالا مضربين عن العمل مطالبين برفع اجورهم اما ان يخرجون في مظاهرة فيها ما فيها من صراعات مع الشركة وتوقيف البعض فهو امر مختلف وارى ان العدد الذي سيشارك في التظاهرة قليل جدا اذا قورن بالرغم المبالغ فيه.

٣- قيادي ذكي يقدر المواقف ويستبق النتائج قبل وقوعها: وحدثنا النعمان في ص٣١٤ من كتابه "نصف قرن من تاريخ وطن" فيقول: وكانت آخر محاولة لقيام تظاهرة هي تلك التي تقرر ان تسير قرب سينما الزوراء في محلة المربعة وقبل ان نصدر امراً بتحرك التظاهرة وجدت ان الشرطة المحتشدة يكاد يقارب عددها عدد المتظاهرين فاسرعت فورا للاتصال بعدد من مسؤولي مسيرة التظاهرة ومنهم علي شكر وجاسم حمودي وحمزة سلمان وعبد اللطيف السعدي وكاظم الحسني واخرين فاخبرتهم بواقع الحال وسألني احدهم ما رأيكم قلت ان تحركنا سيلقى القبض على اكثر من نصف المتظاهرين وهذه مغامرة وتفريط بحزبنا وتم بالاتفاق تأجيل المظاهرة وقد استحسن فهد موقفنا وقال : نحن نرسل مسؤولين يعرفون واجبهم وليسوا موزعي بريد .

٤- فكر ناضج ورأي حر: وعندما قابله حنا بطاطو سأله عن رأيه في مشاركة الحزب الوطني في وزارة نوري السعيد التاسعة ممثلا بعضو محمد حديد وزيراً للتموين اجابه النعمان بان نوري السعيد عنده خطة ثابتة لايحيد عنها وانه استفاد من مشاركة الحزب الوطني وبالقدر الذي عاد به ذلك الاشتراك على الحزب الوطني الديمقراطي من اضرار.

تاريخ وطن وآمال شعب

سجاد حسن محي

د. بيان النعمان مع محرر المدى

اختطف الموت من بيننا المناضل سالم عبيد النعمان ، لكنه لم يستطع أن يخطف منّا أفكاره وصورته وتأريخ العراق الذي أفنى حياته من أجله وآمال شعب في الحرية والحياة الكريمة.. لم يستطع أن يخطف محبة النعمان من ذاكرتنا ومن قلوبنا.

كرس حياته لخدمة قضايا شعبه المصيرية مختاراً طريق الكفاح سبيلاً لترجمة الأفكار والنظريات إلى واقع ملموس، وكم كان حريصاً على حماية رفاقه، وكم كان دقيقاً في أحاديثه السياسية، وملتزماً بأفكار الحزب الشيوعي العراقي .منذ ريعان شبابه أدرك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه ، لم تثنه السجون والمعتقلات والملاحقات عن مواصلة كفاحه لتحقيق شعار «وطن حر وشعب سعيد».

نشأته وانضمامه للحزب الشيوعي العراقي

في أربيل التي اختارها ملاذاً أخيراً له التقينا ابنه الدكتور بيان (للمرحوم ثلاثة أبناء وبنت واحدة: غانم طبيب اختصاص باطنية، وبيان دكتوراه في الهندسة وأستاذ جامعي، وسعد طبيب أطفال، وابنته شروق).

ولد أبو غانم في بلدة عانة بالرمادي سنة ١٩٢٣ من أسرة تمتهن تجارة الأقمشة،أكمل الدراسة الابتدائية في عانة وسافر إلى بغداد ليكمل الدراسة في متوسطة الكرخ والإعدادية في الثانوية المركزية ثم دخل كلية الحقوق سنة ١٩٤١ ،وفي سنة ١٩٤٢ عندما كان طالبا في الحقوق انضم إلى صفوف الحزب الشيوعي العراقي عن طريق حسين الشبيبي الذي كانت تربطه بالمرحوم علاقة وثيقة والتقى يوسف سلمان (فهد) في نفس السنة فقرّبه للحزب لما لمسه فيه من ذكاء وحماسة وأسندت إليه مهمة تنظيم التظاهرات لأنه كان عارفا بشوارع ودهاليز أزقة بغداد، فكان ينظم بداية ونهاية التظاهرة،ويوجه كيفية التخلص من الشرطة في العهد الملكي، فضلا عن مرافقته فهد في زياراته للتنظيمات في بغداد والمحافظات أيضا بصورة سرية .ويذكر أن فهد أرسله إلى محافظتي الحلة والناصرية لكسب الوجهاء للحزب الشيوعي.

النضال السري في العهد الملكي

بعد تخرجه فيّ كلية الحقوق سنة ١٩٤٥ فتح مكتبا للمحاماة في شارع الرشيد وأسس في المكتب أيضا دار الحكمة للطباعة والنشر تقوم بطباعة الكتب الأدبية والسياسية ولكنها في الحقيقة كانت مركزا للنشاط التنظيمي للشيوعيين إذ تطبع فيه منشورات الحزب الشيوعي وتوزع بمعية الرفاق في بغداد، وكانت لها تأثيرات كبيرة في الشارع العراقي. تعرّض المكتب لداهمات عديدة من قبل البوليس السياسي آنذاك واعتقل المرحوم لفترات قصيرة مع بعض الرفاق خصوصا عندما كانت تحدث تظاهرات عارمة في بغداد. كان أبو غانم المسؤول التنظيمي للشهيد سلام عادل ١٩٤٥/١٩٤٧ والتقاه بعدها مرتين بصفته صديقا، لأن الشهيد سلام عادل كان قليل الظهور بصورة علنية خشية إلقاء القبض عليه من قبل الأجهزة البوليسية القمعية .

الفترة الذهبية

يقول الدكتور بيان النعمان: هناك فترة ذهبية شهدها الحزب يذكرها والدي حيث كان هناك متسع من الحريات السياسية للأحزاب فتشكل حزب باسم حزب التحرر الوطني سنة ١٩٤٦ برئاسة حسين الشبيبي والمرحوم سالم عبيد سكرتيراً للحزب، وكان من أبرز أعضائه المحامي محمد حسين أبو العيس(استشهد في سنة ١٩٦٣ في الانقلاب الأسود) ،فنال الحزب شعبية كبيرة في وقت قصير لقربه من الطبقات الكادحة والعمال وأصبح يشكل قوة في الشارع العراقي، لكنه حين تقدم بطلب الحصول على إجازة رسمية من حكومة (توفيق السويدي) رفض طلبه من قبل الحكومة لأسباب تتعلق بارتباط أعضائه بالحزب الشيوعي العراقي (حسب ادعاء الحكومة) ، وبالرغم من هذا الرفض إلا أن الحزب ظل يعمل بحرية ومن دون رقابة صارمة من قبل الحكومة لحين سقوط حكومة السويدي، وجاءت بعدها حكومة قمعية بوليسية برئاسة أرشد العمري ،فشنت هجوما شرسا على كوادر الحزب الشيوعي وحزب التحرر الوطني، وتم في يوم أسود اعتقال القياديين وعلى رأسهم فهد وزكي بسيم وحسين الشبيبي ووالدي ،وذلك في سنة ١٩٤٧.

ولد أبو غانم في بلدة عانة بالرمادي سنة 1923 من أسرة تمتهن تجارة الأقمشة،أكمل الدراسة الابتدائية في عانة وسافر إلى بغداد ليكمل الدراسة في متوسطة الكرخ والإعدادية في الثانوية المركزية ثم دخل كلية الحقوق سنة 1941 .وفي سنة 1942 عندما كان طالبا في الحقوق انضم إلى صفوف الحزب الشيوعي العراقي عن طريق حسين الشبيبي الذي كانت تربطه بالمرحوم علاقة وثيقة والتقى يوسف سلمان (فهد) في نفس السنة فقرّبه للحزب لما لمسه فيه من ذكاء وحماسة

أن قوة من الحرس القومي مقبلة من الرمادي إلى الحلة لاعتقال والدي وإعدامه وطلب منه ترك الوظيفة والاختفاء مدة من الزمن ،فما كان من والدي إلا أن قدّم إلى القاضي طلب إجازة مفتوحة وقصد العاصمة بغداد مختفيا.

عندما يكون السياسي قاضياً

يواصل بيان ذكرياته عن والده: انتقل الوالد إلى بغداد سنة ١٩٦٤ وعمل قاضيا في محكمة استئناف بغداد الرصافة مؤديا واجبه المهني بكل نزاهة وإخلاص بشهادة من عاصروه ، وأذكر هنا قرارا جريئا اتخذه المرحوم في إحدى القضايا فقد أسقط وزير الداخلية في زمن عبد السلام عارف الجنسية العراقية عن أحد المواطنين كونه شيوعيا، فأبطل والدي قرار وزير الداخلية بقرار قضائي مستندا في قرار الإبطال إلى ثغرة قانونية ببراعة وهي أن الشخص الذي يخدم العلم (الخدمة الإلزامية)يعد عراقيا ويستحق الجنسية العراقية فاستشاط وزير الداخلية غضبا وقدم شكوى إلى عبد السلام عارف من والدي (القاضي سالم عبيد) وقال لعبد السلام: هل يجوز أن يكون في العراق الآن قاضٍ شيوعي؟ فاتصل عبد السلام عارف بوزير العدل آنذاك السيد كامل الرواف وقال له: هل عندك قاض اسمه سالم عبيد وما رأيك به؟ فأجابه الوزير: إنه من أنزه القضاة في العراق فلم يتخذ عبد السلام أي إجراء بحق والدي.

واستمر في محكمة استئناف الرصافة من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٨ ،وبعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ حدث ما لم يكن في الحسبان...ففي أحد الأيام عندما كان والدي جالسا في مكتبه بمحكمة الاستئناف اتصل به هاتفيا رئيس الجمهورية آنذاك أحمد حسن البكر طالبا من الوالد مقابلته شخصيا!!

فذهب والدي إلى القصر الجمهوري والتقى البكر الذي قال له: إنهم (يقصد البعثيين) جاؤوا بفكر مختلف عن ١٩٦٣ ،فهم منفتحون على الأحزاب التقدمية والحزب الشيوعي ويطلبون التعاون مع الحزب وأنت بصفتك قاضيا مرموقا أطلب منك قبول منصب المشاور القانوني لمجلس قيادة الثورة!!

طلب والدي مهلة للتفكير، وأجرى اتصالات مكثفة لأخذ آراء أصدقائه والمقربين له ومنهم :عبد الوهاب محمود نقيب المحامين العراقيين، بعد عدة أيام وافق الوالد على المنصب بشروط وهي أن تكون له حرية إبداء الرأي وأن لا يتدخل أحد بمسائل القضاء فضلا عن رفضه تسلم أي راتب أو مكافآت إضافية واكتفى براتبه كقاض في محكمة.

وكان شرط عدم التدخل في شؤون القضاء عامل قوة له في عدم الرضوخ لضغوطات حزب البعث الحاكم وكان يقول للبكر :صديقك من صدّقك لا من صدّقك، وأخبره أن مهمته تنحصر في إبداء المشورة القانونية ولكم حرية الأخذ بها من عدمه، وقد ترك والدي عمله كمستشار في مجلس قيادة الثورة بمحض إرادته ولم يكمل السنة الأولى في عمله ،لأنه لمس الاتجاهات الاستبدادية للبعث وأن وجوده بات ينطوي على مخاطر كبيرة فآثر الابتعاد وعيّن قاضيا سنة١٩٦٩ في محكمة التمييز وهي أعلى سلطة قضائية مدنية في العراق حتى تقاعده من الوظيفة سنة ١٩٨٦.

في يوم 14/ شباط /1949 اقتيد فهد وحسين الشبيبي وزكي بسيم، وشخص يهودي اسمه (يهوذا صديق) عثر في جيب سرواله على قائمة بأسماء خلية حزبية في بغداد، إلى ساحة المعتقل ليرتقوا المشنقة بشموخ الجبال، وقبل أن يساق فهد إليها سلم والدي حقيبته التي كانتْ تحتوي على كل وثائق الحزب ،وقال لوالدي:(هذه لك يا سالم)، وذهبوا إلى المقصلة بكل قوة و كبرياء (وهنا اغرورقت عينا دكتور بيان بالدموع) ثم أكمل حديثه: أما والدي فصدر بحقه حكم بالسجن لمدة أربع سنوات.

انقلاب شباط الأسود

وفي ٩/شباط/ ١٩٦٣ يوم الانقلاب الأسود اعتقل مرة أخرى على يد قوة من الحرس القومي في مدينة الحلة عندما تسلم البعثيون السلطة علما أنه لم تكن لدى الوالد أي صلة تنظيمية بالحزب ولكن كان فكره تقدمياً واضحاً ،وبعد اعتقاله بعدة أيام تأكد الحرس القومي أنه ليس عضواً في الحزب الشيوعي لذا أطلق سراحه من السجن بضمان محل عمله، وفي اليوم التالي لإطلاق سراحه أخبره زميله في محكمة الحلة(القاضي حسن علي التكريتي) وللأمانة ،يقول بيان، هذا النقل هو حرفي عن لسان والدي المرحوم ،فكان كثير الإشادة به عندما كان الأستاذ فخري مدير تحرير جريدة طريق الشعب في سبعينات القرن الماضي إذ كان يعمل على إصدارها بكل مهنية وجرأة فكانت جذابة بمظهرها ومحتواها تحمل بصمات هذا الرجل الذكي والمخلص لمبادئه وهذا أقل ما يقال بحقه.

ونقل د. بيان شكر عائلة الفقيد لرئيس مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون على اهتمامه ومتابعته رفاق درب النضال.

نشاطاته الفكرية

يواصل ابنه الحديث ليعرّج على إصدارات والده فيقول: أصدر في سنتي ١٩٧٢/١٩٧٣عدة بحوث قانونية أثارت جدلا واسعا في الأوساط الثقافية العراقية بسبب انتقادها القوانين المتخلفة المعمول بها منذ زمن بعيد ورؤيته بضرورة استبدالها بأخرى تقدمية تضمن حقوق الطبقات المسحوقة والكادحة في المجتمع ، وتعرّض والدي لهجوم عنيف من اليمين لكنّ هناك معسكرا كبيرا مؤيدا لها وأحرجت هذه البحوث الحكومة البعثية ،وأبرز تلك البحوث:(آراء في الفقه والتشريع) و(العملية التشريعية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا) بالإضافة إلى كتب أخرى في مواضيع شتى لاقت ردود أفعال مختلفة.

وله كتاب« الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد » وكتاب آخر هو «نصف قرن من تأريخ وطن » وهما من إصدارات دار المدى .

العلاقة بالثورة الكردية

كانت له علاقة قوية بالسيد عزيز شريف الذي كان وزيراً للعدل وهو شخصية تقدمية ورئيس مجلس السلم العالمي في ما بعد أواخر السبعينات وكان يطلعه على مجريات المباحثات بين حكومة بغداد وقيادة الثورة الكردية وعمل مفكرا مساندا لعزيز شريف لضمان حقوق الشعب الكردي في نيل حقوقه القومية المشروعة إلى أن صدر قانون الحكم الذاتي ١١ آذار ١٩٧٠ ،إذ كان انتصارا للشعب الكردي في الاعتراف بحقوقه القومية المشروعة.

العلاقة مع فخري كريم

وعن علاقة المرحوم سالم عبيد النعمان بالأستاذ فخري كريم يروي لنا ابنه ما سمعه من والده فيقول: كانت تربطه بفخري كريم وشائج صداقة قوية فكرية بشكل خاص ، وكان فخري كريم يرى في والدي رمزا وطنيا من زمن الحلم المضيء وبالمقابل فإن الوالد كان يصفه بأنه:(مناضل قوي وصحفي لامع ومحترف وسياسي بارع)

النعمان في اخر صورة له

النعمان في الثانوية بملابس الفتوة

نصف قرن من تأريخ العراق

تأليف : سالم عبيد النعمان
عرض/ المدى

في هذا الكتاب يحاول الباحث السيد سالم عبيد النعمان تدوين تأريخ العراق خلال فترة محددة (١٩٠٠ – ١٩٥٨)

تميزت بأحداث جمة من ثورات وانقلابات ومعاهدات ربطت العراق بالاستعمار البريطاني ،ولأهمية كل حدث وسعته جهد المؤلف ايجازها في ٤٠٧ صفحة ، مقسماً الكتاب الى ثلاثة أبواب ،وكل باب يحتوي على عدة فصول :-

احتوى الباب الأول على ستة فصول تحدث فيها المؤلف بلمحة موجزة عن تغلغل النفوذ الاقتصادي والسياسي للدول الاستعمارية (فرنسا وبريطانيا) في الأقطار العربية التي كانت تحت نفوذ الرجل المريض ، وتطرق الى الاحتلال البريطاني للعراق في الربع الأخير من عام ١٩١٤ ، والى بروز المعارضة الشعبية، والى ظهور الحركات الدينية والسياسية المناهضة للاحتلال البريطاني والفرنسي ،والى انتفاضة النجف ، ممهدا لثورة العشرين التي يتناولها في الباب الثاني .

في الباب الثاني وعلى مدى عدة فصول (من الفصل السابع حتى الفصل السادس عشر) يدون تأريخ العراق خلال فترة العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي. فيتطرق الى الاسباب الاقتصادية ، والاجتماعية، والسياسية ،والدينية التي فجرت ثورة العشرين ، وكيف وضعت تلك الثورة حداً للهيمنة البريطانية وجعل العراق اقليماً تابعا لحكومة الهند ،و كشفت ضعف الجيش البريطاني أمام ثوار الرارنجية والرميثة والخضر والسماوة وثوار ديالى وغرب الفرات ،كما كشفت ايضاً مدى قوة العراقيين واصراهم على الاستقلال رغم افتقارهم الى القيادة الموحدة التي كانت أهم ثغرة عانتها الثورة وادت الى فشلها كما يذكر.

وبعد تدوين ثورة العشرين ينتقل المؤلف الى مؤتمر باريس عام ١٩٢١ ،والى تأسيس الدولة العراقية ،وتنصيب فيصل الأول ملكاً على العراق ،والوزارات التي تشكلت خلال تلك الفترة ، والمعاهدات والاتفاقيات التي ابرمتها الحكومة العراقية مع بريطانيا مثل معاهدة ١٩٢٢، ومعاهدة ١٩٣٠ التي كبلت العراق بقيود جمة ،فقوبلت بمعارضة شديدة من قبل القوى الوطنية والاحزاب والجمعيات التي تأسست في تلك الفترة ،وخاصة الحزب الوطني بقيادة جعفر ابو التمن ،والحزب الشيوعي بفكره الماركسي بقيادة حسين الرحال وسليم فتاح وحميد رفعت والقاص محمود أحمد السيد نجم . ويشير في هذا الباب ايضاً الى اكتشاف النفط في العراق، والى بروز الرأسمال الصناعي والتجاري، وتعاظم دور القوى الانتاجية والاقطاعية ،وتعاظم دور الملك فيصل وسيطرته على البرلمان والاحزاب بعكس خليفته الملك غازي الذي اتسم بالضعف ،وتوليه البلاد لفترة قصيرة اثر حادث سيارة .

اما الباب الثالث من الكتاب يتناول فيه المؤلف (من الفصل السادس عشر حتى الفصل الأخير – الرابع والعشرون -) تأريخ العراق في فترة الأربعينات والخمسينات حتى نهاية الحكم الملكي وقيام الجمهورية العراقية ،التي تميزت بأحداث عالمية وعربية جمة ،كان لها تأثيراً كبيراً على مسار التاريخ العراقي عامة ،وعلى مسار الحركة الوطنية خاصة، ولعل من ابرز تلك الاحداث الحرب العالمية الثانية ونهايتها ، وبروز الولايات المتحدة كقوة دولية تحاول الدخول الى الشرق الاوسط . ومن الاحداث الاخرى المهمة التي على الصعيد العربي التي يتطرق اليها في هذا الباب :تأسيس الجامعة العربية ودخول العراق عضواً فيها ، ووعد بلفور ، ودخول الجيش العراقي لفلسطين، والثورة الكردية ،ومؤتمر باندونغ.

فيذكر كيف كان مصير الجهة الخاسرة أو الرابحة في الحرب العالمية الثانية مؤثراً على مصائر الحركات السياسية ،وخاصة تلك الاحزاب الوطنية كالحزب الشيوعي، وحزب الاستقلال ،والحزب الوطني الديمقراطي .

ومما يلاحظ بأن المؤلف في هذا الباب وعلى مدى جميع فصوله يفصل في مسيرة الحزب الشيوعي النضالية بخلاف ما درج عليه في تدوين الاحداث الاخرى التي كان لها اثراً كبيراً على تأريخ العراق . فيتطرق في مستهل هذا الباب الى تأييد الحزب الشيوعي بقيادة فهد للاتحاد السوفيتي في حربه ضد ألمانيا ،والى دور الحزب الشيوعي في الحركة الوطنية مؤكداً بانه لم يكن في تلك الفترة في الحركة الوطنية من يمثلها سوى الحزب الشيوعي (ص ٢٦٢) ولعلنا نجد في ذلك مبالغة كبيرة من المؤلف .ويتابع مسيرة الحزب فيتطرق الى ملاحقة الحكومة لأعضاء الحزب لمجرد انتمائهم للحزب الشيوعي ، ونشر فكر الحزب الذي يدخل في نطاق الجرائم السياسية ، وخاصة خلال وبعد وثبة كانون١٩٤٨ ،وبعد اتفاقية النفط التي ابرمها نوري السعيد مع شركات النفط ،وانتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ التي يأتي على ذكرها بتفصيل في الفصل الحادي والعشرين من الكتاب ،ويمضي المؤلف في تتبع نضال الحزب الشيوعي لين اثره في اسقاط الحكم الملكي وقيام الجمهورية العراقية بمساعدة الضباط الاحرار. وبحدوث بثورة ١٤ تموز يكون المؤلف قد انهى كتابه ،قبل أن تنهي المنية حياته في منتصف شهر شباط من هذا العام .

يبدو من مراجعة الكتاب بأن المؤلف بذل جهداً قيماً في تأليف الكتاب ولكن هناك بعض الملاحظات اتي كنت اتمنى أن يطلع عليها المؤلف ولكن المنية سبقت مراجعتي للكتاب ،مثلاً عندما يأتي على ذكر ثورة الشريف حسين يذكر في« ص ٣٩ – ٤٠ » بأن فيصل قد خان والده الشريف حسين خلال ثورة الحجاز وتعاون مع الانكليز ...و يذكر بأن موقف فيصل هذا يدعو الى الشك والتأمل ويصف سلوك فيصل «السيئ المشين » اضافة الى انه في صفحات اخرى يصفه بالعمالة وخيانة العراقيين. وهنا ارى بان هذا تجني على فيصل لأن المراسلات بين الشريف حسين واولاده المحفوظة في المكتبة الوطنية العراقية تحت مصنف (وثائق نجد)تؤكد على وقوف اولاد الشريف حسين جميعاً بجانب والدهم، فلا يعقل أن الملك فيصل يخون والده ،بينما في صفحات لاحقة من الكتاب نرى المؤلف يشيد بوطنيته فينكر في ص (١٢٥-١٢٧) بأن الجماهير الوطنية العراقية قد أيدت سياسة الملك فيصل على أساس استقلال العراق وان السلطات البريطانية المحتلة كانت ترى ان الملك فيصل وراء التظاهرات التي تطالب باستقلال العراق ، ورفض معاهدة ١٩٢٢بأسلوبه المتميز سرا وعلانية وأن المعتمدية قد سعت الى إقالة الملك فيصل ،ووصفه تشرشل «بالشيطان المرائي» ،كما يؤكد ايضاً على وطنيته في ص(٢٠١ - ٢٠٩) عندما ينكر رسالة الملك فيصل الموجهة الى وزرائه لبناء العراق دولة عصرية ودعوته لمحاسبة المختلسين وبناء معملاً للقطن أو معملاً للزجاج بدل بناء دار للحكومة أو قصر ملكي .

اما في الفصل التاسع فنجد فيه انتقالات زمنية غير منسجمة مع عنوان الفصل .ولو انتقلنا الى الفصل الخامس عشر نرى بأنه يذكر في ص ٢٤٥ بأن الضباط الأربعة «قادة حركة مايس» قد تقدموا بطلب لتأسيس حزب باسم حزب الشعب فأجيز في ٢٧ آذار ١٩٤١غير أن الحقيقة التاريخية تؤكد بأنه قد رفض اجازته ولم يتم تأسيسه، وفي صفحات لاحقة من الفصل ذاته يشير الى رسالة الحزب الشيوعي الموجهة الى رشيد عالي الكيلاني لتهنئته على حركته ويذكر تاريخ الرسالة في ٧ أيار سنة ١٩٤٧...؟ وفي الفصول اللاحقة عندما ذكر موقف الحركات الوطنية من الصراع العالمي في خمسينات القرن العشرين تجاهل دور بعض الأحزاب فهو مثلاً مر مرور الكرام على حزب البعث في «ص٣٤٧و ٣٧٧ »...؟

سالم عبيد النعمان

فقيد الوطن والديمقراطية والثقافة

نجيب محي الدين
قيادي في التيار الديمقراطي
نقيب المعلمين الأسبق

لقد افل نجمٌ كان ساطعا في الوسطين السياسي الثقافي لفترة طويلة من الزمن في بلادنا ، حين غيب الردى عنا شخصية متميزة بخصالها من الابناء البررة لهذا الوطن ، التي لن يتلاشى او يخفت تقديرها بسهولة في ذاكرة الذين عرفوها عن قرب أو من الذين عرفوها وتأثروا بها بعدما تهيأ لهم ان يقرؤا لها او يسمعوا من المثقفين و المعنيين بالشؤون العامة للبلاد عن مسيرتها النضالية وغزارة معرفتها ومنهجيتها واخلاقها السامية . وفي تقديري ان فقيدنا سالم عبيد النعمان وقد عرفته منذ اكثر من ثلاثين عاما كان حقا من أولئك الاشخاص النادرين الذين ستظل معالم مسيرتهم في الحياة وضاءة وخالدة في التاريخ السياسي العراقي الحديث ، فمسيرته تحفل بمواقف الحب والاخلاص والتفاني من اجل الوطن والوفاء له ، معبراً عن ذلك بمواقف عملية وواقعية تتمثل في حبه للمواطنين واحترام حقوقهم وتقديس كرامتهم والدفاع عن المظلومين منهم دون تمييز بايمان راسخ لا يتزعزع مستوعباً ومستلهماً روح مبادئ وقيم انسانية آمن بها دون تزمت او تعصب فكري بعد ان نهل من ينابيع المعرفة من مختلف مصادرها وازمانها واعلامها منذ مطلع فترة شبابه حين حكم عليه بالسجن لعدة سنوات لنشاطه السياسي الوطني خلال فترة الحكم الملكي فاستغل فترات فراغ الوقت المتوفرة لديه في السجن ليزيد معارفه ويتعمق ويدقق فيها ويضيف اليها الجديد النافع واستمر على ذلك حتى أواخر حياته .

لقد عرف عنه ناشط سياسي مخلص بنهج ديمقراطي اسلوباً وغاية.. والغاية عنده بما للديمقراطية من ابعاد واهداف سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية لتنظيم المجتمع وضمان خيره وتطوره . لقد كان سياسياً من ضمن تلك الكوكبة النادرة التي اعتبرت العمل السياسي وسيلة لتحرير الوطن وخدمة المواطنين والتصدي للفساد والاستبداد والاستغلال لا وسيلةً لتحقيق الوجاهة الشخصية والنفوذ والأستحواذ على المال العام او غيره مشرعاً بالقانون الذي يريده أو يدونه كما عرف عنه رجل قضاء متميز بنزاهته وبغزارة معرفته القانونية وسعة أفقه الفكري وصوابية أجتهاداته في قراراته التي ينسجها بدقة واحكام وجراة ووضوح هادفاً من كل ذلك ان يأخذ الحق مكانه والعدل مساره وبذلك استطاع أن يأخذ مكانة متميزة في الوسط القضائي والثقافة القانونية بالرغم من الظروف السياسية الأستبدادية التي سادت البلاد . لم يكن متميزاً في المجالات المذكورة فحسب بل كان غزير المعارف ايضاً بالتاريخ والتراث والشريعة الأسلامية فاستوعب مضامينها وادرك اهدافها واستطاع بفضل تميزه بقدرته الفكرية وانفتاحه الفكري وثقافته الواسعة في شؤون الحياة المختلفة ،التعامل مع هذه الموضوعات بايجابية تامة ووعي عال مع المرحلة التي عاش فيها ، وبذلك كان من القلائل الذين استطاعوا ان يوفقوا بين الافكار التنويرية وتوجهات الحداثة وبين ما في التراث من قيم وجوانب ايجابية نافعة تمس حاضرهم وتؤثر فيه وعلى مسيرتهم نحو المستقبل وبذلك نجح بان ياخذ من الماضي ما يدعم مسيرته الوطنية التقدمية الاصلاحية لخير المجتمع . هذا الى جانب ما كان يلم به الفقيد من المعارف في مجالات الأقتصاد والأداب والأجتماع ، كل هذه المميزات المعرفية كان يؤطرها سلوك متميز بنظافة اليد وكرمها مع طيبة وسمو في النفس واللسان تبتعد عن التعصب والحقد والكراهية وتحمل التسامح والاباء والتعاون واحترام الرأي الاخر والتضحية لخير المواطنين جميعاً . ما أود أن اشير اليه وأؤكد عليه ، لشعوري باهمية ذلك لتربيتنا ولمجتمعنا هو ايمانه بأهمية وضرورة احترامه لـآراء المختلفة بما فيها الآراء المخالفة لأراءه ، أذ كان يرى ذلك ركناً أساسياً من أركان المبادئ الديمقراطية التي نؤمن بها وندعوا اليها ، فقد كان يرى أن كلا منها يكمل الاخر لمعرفة الحقيقة والتوصل الى أتخاذ المواقف المشتركة التي تحقيق مصلحة الوطن وتخدم الجميع مادامت النوايا حسنة . ومثل ما آمن بالديمقراطية فأنه آمن بضرورة وحدة الديمقراطيين العراقيين فظل يدعو لها ويعمل ما استطاع اليها سبيلاً ، أذ ادرك أن مستقبل الديمقراطية يتوقف على وحدة الديمقراطيين وتنسيق نشاطاتهم . لا شك انها لخسارة مؤلمة ان تتوارى قامة شامخة زاخرة بالعلم والمعرفة ومتميزة بمواقفها وعطائها ، ليس لعائلته وأصحابه فحسب ، بل لكل مجتمعه ، ولكنها اليوم لخسارة فادحة جداً ان يغيب عن وجودنا سالم عبيد النعمان ذلك الأنسان الذي عرف طريقه وسار عليه بأمانة واخلاص وبخطى واعية متوازنة وقد جرد نفسه من النوازع الأنانية وعاش نقياً قانعاً ومعتزاً بارتدائه ثوب الوطنية والأنسانية ، وبذلك ترك بعد رحيله بصماته الفكرية التقدمية وخلف آثاراً لن تزول من نفوس الصفوة المخلصة ممن عرفوه حقاً ، ويظل له طيبَ الذكر ووافر التقدير.

جلسة حوار مع الشخصية الوطنية «سالم عبيد النعمان»

غناوي الزهيري

النعمان يستقبل عدد من اصدقائه

إلتقيت الرجل السياسي والقانوني الذي واكب وأثر في أهم مرحلة من تاريخ العراق السياسي . شيخاً يتفجر حيوية ، تليق بأهمية الدور الذي لعبه في بناء النواة الأساس –مع أبرز الرجال– للحركة الديمقراطية في بلادنا في بدايات أربعينيات القرن المنصرم ، ويتمتع بذاكرة قل نظيرها في مثل هذه السن التي نتمنى أن يطول به العمر ليتحفنا بأعمق الرؤى المدونة بأعذب الاساليب العربية المعبرة .

حيث أنجز الكثير من البحوث (فلسفة التشريع ، الوصية الواجبة ، العملية التشريعية وغيرها ، وأخرها كتابه –الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد–) لم أرَ أي حرج في مقابلتي له في داره ، إذ إنه كان له –قبوله– يوم الجمعة ، حيث يجتمع لديه السياسي والصحفي الى جانب الأديب والفنان ورجل القانون ، ليتصاعد حلو الحديث وأعذبه من عمق الحقيقة التي تتجلى في تلاوين الكلام المميز ، بأروع معلومة يمكنك أن تتصيدها . قبل مشكوراً التحدث في السياسة والتاريخ والوطنية التي يبحث عنها اليوم الجميع ...

×لم تنقطع صلتكم بالسلم ورجاله وها أنتم اليوم عضو في المجلس العراقي للسلم والتضامن ، فهل ياترى نطمح أن تستحثوا الذاكرة لتبسطو للقارئ الكريم تلك العلاقات الشخصية والسياسية التي توثقت بسكرتير حركة أنصار السلام الأستاذ المرحوم عزيز شريف ؟ وكيف كانت طبيعة اللقاءات والأحاديث وربما السجالات التي طبعت تلك العلاقة ، وما رشح عنها من مواقف مسؤولة ؟

–لا ننسى عزيز شريف مناضل سياسي مذ كان طالباً في كلية الحقوق ، كان حاضراً ومشاركاً في كل المظاهرات والإحتجاجات التي ظهرت سني ١٩٢٨ – ١٩٢٩ – ١٩٣٠ . ظهرت ميزته القيادية في المظاهرات فكان نصيبه التوقيف والطرد المؤقت . وعندما تخرج في كلية الحقوق ، إنتمى الى جماعة الأهالي ، وصار المدير المسؤول للجريدة بعد إنتقال حسين جميل الى سلك القضاء . تعرف على كامل الجادرجي عند إنتمائه الى جماعة الأهالي وتعرف على جعفر ابو التمن عندما صار حليفاً للأهالي ، ثم جزءاً منها ، وكان شديد الإعجاب به وكان يحدثني عن مزايا أبو التمن وصفاته الوطنية التي كانت مثالاً لكل العراقيين . ويصف هذا الزعيم الذي يلبس «كشيدة» التجار ، بأنه عدو للطائفية وداعية لوحدة المذاهب والأديان .

وفي سنة ١٩٣٧ إنتخب عزيز عضواً في مجلس النواب –ايام إنقلاب بكر صدقي– فكان أحد خطباء المجلس في القضايا التي تشغل بال الوطن وخاصة القضية الفلاحية والعلاقات الزراعية ، ... إلخ .

أسهم عزيز شريف في تحرير صوت الأهالي التي اصدرها كامل الجادرجي خريف سنة ١٩٤٢ ، ولكنه إختلف مع الجادرجي في موضوع الإنتقال الى النشاط السياسي العلني وتأسيس حزب ، وذلك سنة ١٩٤٣ . ونتيجة إصرار عزيز شريف على عدم الركود إزداد الخلاف بينهما ، فغادر صوت الأهالي ليؤسس دار نشر ثقافية باسم «رسائل البعث» . في تلك السنة تعرفت شخصياً على عزيز شريف ، وكنت حينذاك طالباً في الصف الثالث في كلية الحقوق .

إنتسب عزيز شريف الى القضاء ، وصار قاضياً في المحكمة الكبرى التي كان يرأسها شخص إنكليزي يقال له «مستر كامبل» كان الإنكليز بعد إحتلال العراق الثاني سنة ١٩٤١ ،عادوا الى الإشراف على القضاء ، فكان رئيس محكمة التمييز إنكليزياً ، وهكذا رؤساء الإستئناف وبعض المحاكم الكبرى في بغداد وألوية أخرى غيرها .

أسس عزيز شريف –حزب الشعب – ومارس نشاطاً ملحوظاً وفي الخمسينيات بدأ التقارب بين الأحزاب والكتل السياسية ، (أغلقت حكومة صالح جبر حزب عزيز شريف – حزب الشعب – المعارض) فكانت حصيلته أن أصبح عزيز شريف سكرتيراً لحركة أنصار السلام . يبدأ عزيز شريف نشاطه الفكري والإجتماعي والسياسي كقائد لهذه الحركة بوضع الأسس التي سترتكز عليها هذه الحركة :–

أ –الإنفتاح على كافة أبناء الشعب بذهنية غير حزبية ، ذهنية تجمع العراقيين كافة ، ذهنية التآخي والمحبة والكلمة الطيبة ، فالسلم والأمن وكراهية الحرب وما تجره من مآسي هو رائد العراقيين على إختلاف مشاربهم .

ب– إعتبر عزيز شريف أن الأحزاب الوطنية والقومية هي القوة المحركة لحركة أنصار السلام ، فرجال الأحزاب المبرزون الذين ينتمون الى حركة السلم يتعين أن يكونوا في نشاطهم دعاة سلم وليس دعاة لأحزابهم بإعتبار أن حركة السلم هي جزء من أهداف ونشاطات هذه الأحزاب . أن هؤلاء يعملون كقاسم مشترك لجميع القوى العراقية الخيرة في دفعها لتأييد حركة أنصار السلام .

ج – وكان عزيز شريف من هذه الناحية ينظر الى الإتحاد السوفييتي كأعظم نصير للسلم ، فحركة السلم قومية وأممية في الوقت عينه ، إذ تجد كل قومية فيها ما يحقق لها طموحاتها في مجتمع يسوده السلام والأمن . وكان الإتحاد السوفييتي نصيرها جميعاً .

د – كان عزيز شريف يحكم إنتمائه العائلي ، عارفاً بدروب الفقه الإسلامي بشقيه السني والشيعي وكان ابوه الحاج شريف عالماً يتمتع بإحترام لواء الدليم حتى دير الزور في سوريا وقد قال عنه حسين جميل أحد أبرز القضاة الذين مارسوا القضاء في «عنه» (١٩٣٥ – ١٩٣٦) : «لو كان الحاج شريف في بغداد لفاق كل علمائها» .

هذا الإرث مكن عزيز من ولوج الدروب التي أوصلته الى إحترام رجال الدين شيعة وسنة والى ضم كافة القوميات ضمن هذه الحركة التي تجد في صفوفها في إجتماع عام تعقده حركة السلم ، العمامة الى جانب السدارة ، وحاسري الرأس ، تجد عمال البناء والسيكاير وغيرها من المهن بجراويا تهم المتنوعة أو اللباس الأزرق لعمال السكك .

هكذا كانت توحد حركة السلم العراقيين ، فالناظر الى هذا الجمع يشعر بحكمة الآية القرآنية (ونزعنا ما في قلوبهم من غل أخواناً على سرر متقابلين) ، فليت شعري هل يتعظ بعض ابناء الشعب بهذه الحكمة القرآنية ؟ .

إضطره إرهاب نوري السعيد الى مغادرة الوطن الى سوريا وكانت لسوريا حينذاك (١٩٥٤) حكومة ديمقراطية ليبرالية برئاسة خالد العظم وأسهم فيها حزب البعث العربي الإشتاركي والحركة الإشتراكية برئاسة أكرم الحوراني والحزب الشيوعي السوري . كان أبو عصام يطري الحوراني بإعتباره وزيراً للداخلية ويطري مساعدته للعراقيين جميعاً ، وكان يلاطف عزيز بقوله «ألا يوجد في العراق زنبور ..... عسل؟» كان يطربه لأنه كان ينظر الى العراقيين بإحترام ، وكان لا يرد له سؤالاً في طلب مساعدة العراقيين وقد مكنت عزيز فترة بقائه في سوريا كرئيس لحركة أنصار السلام أن يحظى بثقة الجميع على إختلاف أدوارهم السياسية .

×ما أبرز المشكلات التي أسهم عزيز شريف في التصدي لها ؟

– كان ابو عصام منذ تعرفت عليه يؤكد على أن مشكلة الحكم في العراق تكمن في إنه عاجز عن حل القضية الكردية بإعطاء الأكراد حقوقهم المشروعة في حكم ذاتي ، ووضع هذه القاعدة التي يتبناها من أهم واجبات حركة السلم . وربما كان وجوده في سوريا وإنفتاحه على الجميع وإحترام القوميين له عاملاً في إختيار حكومة البعث في إنقلاب ١٩٦٨ بأن يكون وسيطاً لحل القضية الكردية .

كان ترحيب القيادة الكردية لهذا الوسيط النبيل بداية تحركة المكوكي بين بغداد وكالة مقر الزعيم الكردي ملا مصطفى البرزاني .

وبحكم صداقتي الوثيقة معه كان عزيز يطلعني على دقائق الوساطة التي اسفرت فيما بعد عن قدوم الوفد الكردي الى بغداد ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ لوضع الخطوط النهائية واللمسات الأخيرة للحكم الذاتي للأكراد . وهذا كان ثمرة جهود عزيز شريف الى جانب مرونة القيادة الكردية التي أدت الى إعلان بيان –آذار ١٩٧٠ وإعلان الحكم الذاتي للأكراد» . كان عزيز شريف حقاً مهندس الحكم الذاتي و أحد واضعي أسسه .

زارني عزيز شريف كعادته يوم ١٢ آذار ١٩٧٠ سألته عن كيف صار وزيراً للعدل ، أجابني بأن بكر وصدام طلبا مني أن اساهم في الوزارة ، قلت لهما بأني أوافق على أن أكون وزيراً للحكم الذاتي «وزير الشمال» فإني أرغب أن أكمل مسيرتي . تقبلا مني هذا الشرط ، غير أن المرسوم الجمهوري قد صدر بتعييني وزيراً للعدل وقال لي بالحرف الواحد «هذه أول خيانة مارستها قيادة البعث بحقي» ، فقبلت أن أكون وزيراً بهذه الصفة وإقتعنت أن قيادة البعث تنوي شراً بالأكراد ولا تريد أن يكون لهم حكم ذاتي حقيقي .

××عزيز شريف ضد عقوبة الإعدام من حيث المبدأ :–

زارني عزيز شريف وكان وزيراً للعدل في يوم ثانٍ لأحد الأعياد وهي عادتي في قبول اصدقائي المهنئين في مثل هذا التاريخ . وجد جمعاً من الأصدقاء بينهم بعض القضاة منهم ضياء شيت خطاب ، وهاشم الحاج إبراهيم وفخري مدحت وربما عبد الرزاق عبد الوهاب وغيرهم إضافة الى بعض الأصدقاء وكان حسين جميل حاضراً ، تحدث عزيز شريف عن مأساة إعدام ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري فقال : كنت على موعد لزيارة الزعيم عبد الكريم قاسم لإستأذانه السفر وأخبره بإجتماع عام لمجلس السلم وأعرض عليه الخطاب الذي أعددته ، كنت في غرفة الإنتظار ، وقيل لي أن فاضل عباس المهداوي في لقاء مع الزعيم ، ثم خرج فاضل وإمارات الغضب بادية على محياه ، فرجاني أن أتحدث إليه في غرفة منفردة ، قال لي كنت متفقاً مع عبد الكريم قاسم أن اصدر حكماً بالإعدام على ناظم ورفعت وجماعتهما وأن عبد الكريم قاسم سيخفف العقوبة الى الحبس أو السجن بل والى إطلاق سراح البعض ، اما الآن فهو ينقض العهد وإني جئت محتجاً وقلت له هذه خيانة منك وعدم إلتزامك بتعهد الشرف الذي أعطيته لي لتعفوا عنهم أو تحبس بعضهم وأنت الآن تريد إعدامهم وتصر عليه .

ويقول عزيز أن المهداوي وصف عبد الكريم قاسم بأوصاف تحط من قدره إن ذكرت ، ويقول المهداوي أن عبد الكريم قاسم قال لي أنه سينفذ على هؤلاء الإعدام نكاية بجمال عبد الناصر وصوت العرب وطلب مني أن ارجوا عبد الكريم بعدم تنفيذ عقوبة الإعدام . وعند مقابلتي لعبد الكريم ، كررت عليه رجاء العفو عن هؤلاء أو على الأقل إلغاء عقوبة الإعدام وهذا ما تفرضه على (عزيز) مبادئه ضد عقوبة الإعدام واضفت مخاطباً أنك اقوى من العواطف وأرجوا الرحمة بهؤلاء وعوائلهم ، غير إنه لم يلتفت الى رجائي . هذه بعض مآثر هذا الرجل داعية السلام ولو شئت لأخبرتكم بتفاصيل هذه المزايا التي تستغرق كتاباً .

××اللقاء الأخير :–

بعد تسلم صدام للسلطة بإنقلاب تآمري على أحمد حسن البكر ، زارني عزيز شريف في داري ، كان يوحي بالقلق ، مكث فترة ، وبعد أحاديث طويلة عن هذا الإنقلاب وذبح خيرة البعثيين أمثال محمد محجوب وغانم عبد الجليل وآخرين غيبت الذاكرة اسماءهم ، وإستعرضنا خطابه الذي يقول فيه بأنه سيف بين السيوف وتوقعنا أن مآسي وكوارث ستحل بالشعب العراقي وعندما هم عزيز بالخروج قال أريد الأولاد لأسلم عليهم جاؤوا الى عمهم فرحين بمقدمه ثم غادر الدار ورافقته الى حيث السيارة التي أقلته .

قلت في نفسي أن عزيز سيغادر العراق ولن يعود . وهكذا فإني في اليوم التالي وقبل سفره بيوم واحد كنت في داره قال لي جئت إليكم مودعاً فإني لن أعود الى العراق مادام صدام في الحكم . وإني لم أكشف هذا السر لأحد سواك ، كنا نستمع الى الراديو ، وكان جيفكوف سكرتير الحزب الشيوعي البلغاري في زيارة للعراق وقد وصف صدام بالحكمة وألقاب مثيلة غيرها فما كان من «أبو عصام» إلا أن قال «ثف عليك تصف القاتل بالحكمة الى هذا الحد يصل التملق بك» ودعته ، وللأسف الشديد فقد كنت في إستقبال جثمانه مع جمع من اقاربه وجيرانه وبعض أصدقائه . كنت وفتاح حمدون ورأيت عبد الرزاق زبير في إستقبال الجثمان وشارك في التشييع معنا ، كان ذلك في نيسان ١٩٩٠ على ما أتذكر . لقد غاب هذا الرجل داعية السلام الكبير .

بعد تسلم صدام للسلطة بإنقلاب تآمري على أحمد حسن البكر ، زارني عزيز شريف في داري ، كان يوحي بالقلق ، مكث فترة ، وبعد أحاديث طويلة وذبح خيرة البعثيين أمثال محمد محجوب وغانم عبد الجليل وآخرين غيبت الذاكرة اسماءهم ، وإستعرضنا خطابه الذي يقول فيه بأنه سيف بين السيوف وتوقعنا أن مآسي وكوارث ستحل بالشعب العراقي وعندما هم عزيز بالخروج قال أريد الأولاد لأسلم عليهم جاؤوا الى عمهم فرحين بمقدمه ثم غادر الدار ورافقته الى حيث السيارة التي أقلته .

ذلك الرجل الذي له أكثر من بصمة ، في البدايات المشرقة لتمظهر الحركة الوطنية والديمقراطية في الأربعينيات ؟ .

–كانت الأربعينات سني تحول وإنعطاف في مسار الحركة الوطنية الديمقراطية والقومية ، كان الحزب الشيوعي قد وضع في مقدمة أهدافه ، إستكمال إستقلال العراق وسيادته الوطنية ، الى جانب تحرير الطبقة العاملة والشعب العراقي ، كانت نوعية التنظيم الى جانب وضوح أهداف الحزب ، عوامل جذب ليس للواعين من العمال وفئات الشعب بل للطلبة والشباب المثقف ، وكنت أحد الطلاب الذين إنتموا الى الحزب وأنا في الصف الثاني بكلية الحقوق أواخر سنة ١٩٤٢ كمرشح ، ثم كعضو في مطلع ١٩٤٣ «الشهر الأول» لقد إندفعت بنشاط ملحوظ في سبيل تحقيق أهداف الحزب طيلة الأربعينيات وهذه هي هويتي في تلك الفترة ، كان فهد قائداً تاريخياً متميزاً .

هيأت له البيئة الإجتماعية التي عاشها مناضلاً منذ أواخر العشرينات من القرن الماضي ليحتل هذه الميزة ، كان عملاقاً إذا قورن بتلامذته وكان متقدماً على أنداده ، وبفضل قيادته توسع الحزب وحقق إنتصارات في جذب عدد كبير من العمال والطلبة والشباب الواعي . كانت قيادة الحزب وهو على رأسها مندمجة بالحزب وفي مقدمته ، فالنشاط في الحزب والمبدعون منهم موضع إهتمام القيادة وإفساح المجال له في سلم التدرج الحزبي ، وتحرجوني كثيراً إذا أعلنت بأن المواقف التي جابهتني في المسؤوليات التي عهدت إلي، وإتخاذي القرارات الصائبة في لحظتها هي التي فتحت لي الباب واسعاً في إناطة مسؤوليات اساسية وقيادية لي ، اسهمت مع فهد وزكي في تأسيس وبناء حزب التحرر الوطني ، وكنت المسؤول الحزبي فيه أمام فهد بالذات ، قدت معظم المظاهرات بإستثناء مظاهرة حزيران ١٩٤٦ حيث كنت موقوفاً ، وماعداها كنت المسؤول عن المظاهرات الأخرى .

مر علي في إحدى هذه المظاهرات التي تقرر تحركها بالقرب من سينما الزوراء إمتحان صعب إذ كنا قد قررنا أن تقوم المظاهرة و أعددنا لها ثلاثة أيام . كان تنظيم الحزب مرناً متحركاً يتجدد بإستمرار في تقديم نشطاء الحزب المبدعين من ذوي الإدراك إن المظاهرة مكشوفة ، وإن الحزب مخترق ، إذ كان عدد الشرطة يقارب عدد المتظاهرين الحزبيين ، فإذا تحركت المظاهرة فإن أكثر من نصف المتظاهرين سيزج بهم في الموقف .

إتخذت قراراً بإلغاء المظاهرة وعرضت الرأي على المسؤولين معي عن تحريك المظاهرة ، وهكذا فقد أصدرت قراراً بالتفرق بهدوء تام . إطلع فهد على قرار إلغاء المظاهرة ، هذه المظاهرة التي إستغرق الإعداد لها ثلاثة أيام . كان فهد يذهب في المساء ، وكنت أرافقه ، وكنت أعجب كيف أنه يعرف جميع الأزقة «الدرابين» وأفضل أمكنة التحشد لكل مجموعة .

إن قرار إلغائها كان صعباً كان بالنسبة لي أقرب الى مغامرة ، ولكنني لحظتها عندما رأيت أن تحشد الشرطة كان غير مألوف ، إذ كان عددهم –لكثرته يقارب عدد المتظاهرين– فإن مجرد تحرك المظاهرة يعني بدء المعركة بين قوتين أحدهما قوتنا وهي مجردة من كل شيء ،وثانيتهما قوات الشرطة المزودة بالعصي الغليظة والبنادق .

لقد وازنت بين عدد المتظاهرين الحزبيين الذي سيشل الحزب إذا أوقف ربعهم ، فكيف الحال إذا جاوز نصفهم ، لقد وازنت بين سلامة الحزب وبين مظاهرة لم تكن بتلك الضرورة لتوجب إقتحام المخاطر لقيامها . أوضحت الواقعة كلها وكيف شاهدت المظاهرة مكشوفة وأن الحزب مخترق ، فليس بد من إلغائها ، قال لي فهد «قرار إلغاء المظاهرة كان سليماً ، نحن نرسل مسؤولين يشعرون بمسؤولياتهم ويتصرفون كقادة ميدانيين» .

ولا أريد أن أعدد كثيراً من مواقفي في أحداث واجهتها كمسؤول حزبي أنيط بي عملاً وواجباً محدداً وهذه جعلت قيادة فهد أن تقربني من مسؤولية مهمة وحساسة جداً ضمن دائرتها وفي مركز قيادي مهم . كان تنظيم الحزب مرناً متحركاً يتجدد بإستمرار في تقديم نشطاء الحزب المبدعين من ذوي الإدراك

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2458)
السنة التاسعة
الخميس (18)
نيسان 2012

السليم (common sense) ومعظم كادر الحزب تلك الايام يتميز بهذا الوصف ، وهذا أحد أسرار نجاح الحزب وتوسعه وجماهيريته في ظل قيادة فهد . وأكتفي بهذا جواباً على إلحاحكم وإحراجكم لي .

×هل يذكركم النمو المتواضع للتيار الديمقراطي اليوم ببدايات ظهوره كقوة على الساحة العراقية في اوائل الأربعينيات حيث إنكم في صلب المعركة حينما كانت تمور الأفكار وتتصارع عميقاً في المجتمع العراقي آنذاك ؟ وهل تتوقعون له أن يحقق مكاسب ونجاحات في هذا الخضم من الصراعات المعقدة اليوم ؟ .

-أعتقد أن الوضع السياسي العام في الأربعينيات من القرن المنصرم يختلف عما هو عليه الآن . الوضع السياسي في بلدنا معقد سواء من حيث إصطفاف القوى والمواقف بعضها من الآخر ، حيث تنعدم الثقة بينهم ، وأكثر من ذلك يسعى البعض للإستئثار بالسلطة وتجاهل الآخرين ويعم هذه الكتل إنعدام وضوح الرؤيا وخاصة لدى القوى (النهاشة) . ومما زاد في هذا التعقيد والتخبط هو أن القوى المتحكمة في بلدنا هو المحتل الأمريكي بجيوشه ثم في توجيهه العام غير المباشر للحكم .

ومما يزيد في الوضع سوءاً يعكسه على العراق ، هو أن هذا المحتل واقع في مأزق عسكري كما أن ستراتيجيته العامة متذبذبة غير مستقرة جراء الصراع بين الحزبين الرئيسيين في أمريكا (الجمهوري والديمقراطي) الذي صار العراق محوراً مهماً في التأثير عليه وعدم إستقراره . والمسألة التي رافقت الغزو الأمريكي والمخطط الأمريكي الصهيوني الذي يستهدف في نهاية المطاف تقسيم العراق الى ثلاث كتل دينية وعرقية ، هذا المخطط في رأيي يتم تدريجياً وعلى مراحل يستخدم فيه الدين كسلاح للتفرقة الطائفية وتستخدم النعرة الإثنية سلاحاً للتفرقة بين الكرد والعرب . بدأ هذا بمجلس السبعة الذي عينه بريمر وأدى فشله الى تعيين مجلس الحكم حيث قسم المحتلون ممثليه الى شيعي ، سني ، كردي .

ثم كانت مهزلة حكم الشهر الواحد الذي تناوبه المنقسمون فكل فئة تراقب الأخرى وعلى هذا كانت المحاصصة الطائفية والإثنية عنوان الحكم . وبعد إفتضاح مجلس الحكم كان دور المتحاصصين في تعميق المذهبية الطائفية والعرقية ، وهذا معروف ومعلوم للحكومات المتعاقبة بعد مجلس الحكم . وتعطينا الأنباء التي تتناولها الصحف والفضائيات الى أن يتبلور مشروع المحتلين الى قيام حكومة مركزية هزيلة وضعيفة تربط بخيوط واهية ثلاث حكومات متميزة بعضها عن الأخرى ، دينية شيعية ودينية سنية وحكومة كردية قومية .

وفي هذا يشترك مشروع بايدن مع مشروع كيسنجر ، الأول ديمقراطي والثاني جمهوري مع إختلاف بسيط بينهما سوى أن كيسنجر يرى أن الضرورة تقضي بقيام حزبين متنافسين غير أنه لم يفصح عن طبيعة هذن الحزبين ، ما هي أغراضها ومن يمثلان ثم في النهاية الى التقسيم النهائي وما يتعبه من حتمية الصراع بينهما والتي لن يزيلها في النهاية إلا قوة الشعب المتماسك .

فهل سيحقق التيار الديمقراطي غير الموحد مكاسب في هذا الخضم من الصراعات والأوضاع المعقدة التي أشرتم إليها في سؤالكم ؟ . المفروض إنه يجب علينا أن نتفاءل وألا نسمح لخيبة الأمل أو اليأس في هذا التيار . هناك علائم وإرهاصات تعطي الأمل في هذا التيار . فإذا قورنت أوضاع العراق قبل أربع سنوات مع حاضرنا نجد أن الوعي الشعبي يزداد سعة وقوة وتتوضح عوامل التناقض والتنافر بين عديد من القوى في هذا الشعب .

ومن هذا فعلى التيار الديمقراطي أن يطمح الى أن يكون كياناً متميزاً كما كان عليه أسلافه في القرن الماضي ومما يشجع الأمل أيضاً هو أن القوى في التيار المقابل تتخبط في إتجاهها ولا تعرف سوى غطاء الدين لتغطي شهوة الحكم والإستئثار به وتهميش القوى الوطنية الأخرى بل وتتجاهلها . إنهم يحاولون لوي التاريخ بالإرتداد الى الماضي وهيهات لحقائق التاريخ أن تنال منها هذه الأوهام .

×من خلال دراستنا لكتابكم الأخير لمسنا شيئاً من التركيز على الدور الريادي للقيادة التاريخية الواعية في بعث الروح في التيار الديمقراطي ودفعه للأمام فهل ترون إننا بحاجة لمثل ذلك اليوم ؟ .

-طبعاً نحن بأشد الحاجة الى قيادة تاريخية واعية تعمل على بعث الروح في التيار الديمقراطي ودفعه الى أمام ، لكن الرغبات والتمنيات شيء وواقع الحقائق الماثلة أمامنا شيء آخر . الواقع السياسي والإجتماعي الآن قد تغير عما كان عليه من قبل فلقد إنتقلت السيادة الى الدين ، ويلوح لي – للأسف – إن الظروف الحالية للأحزاب والتنظيمات والكتل السياسية المتشظية غير ناضجة لقيام قيادة تاريخية تحقق بعض الطموحات لبعث الروح في التيار الديمقراطي ودفعه الى أمام .

إن الدعوة الى عقد مؤتمر تسهم فيه الأحزاب الوطنية الفاعلة والقوى السياسية الوطنية والقومية لرسم سياسة موحدة يتفق فيها على الخطوط الكبرى لتنسيق العمل الموحد ذي الطابع الديمقراطي الذي يوحد ابناء الوطن في التحرير والسيادة الوطنية التي تساوي بين ابناء الشعب في الحقوق والواجبات ، وقد يكون المؤتمر المقترح في مواثيقه التي تنبثق عنه من توجيهات في بعث الروح الديمقراطية في هذا التيار ودفعه الى أمام .

مما يزيد في الوضع سوءاً يعكسه على العراق , هو أن هذا المحتل واقع في مأزق عسكري كما أن ستراتيجيته العامة متذبذبة غير مستقرة جراء الصراع بين الحزبين الرئيسيين في أمريكا (الجمهوري والديمقراطي) الذي صار العراق محوراً مهماً في التأثير عليه وعدم إستقراره . والمسألة التي رافقت الغزو الأمريكي والمخطط الأمريكي الصهيوني الذي يستهدف في نهاية المطاف تقسيم العراق الى ثلاث كتل دينية وعرقية ,

×لمَ بإعتقادكم لم تطفو النزاعات الطائفية والعرقية في المجتمع العراقي مرافقة تأسيس الدولة العراقية الحديثة وحتى إكتمال بنائها بينما نرى تفجرها بشكل مرعب في هذه المرحلة ؟

-كانت خطط المستعمرين أثناء الحرب العالمية الأولى وفي أعقابها تقطيع أوصال الوطن العربي الذي كانت تحكمه الإمبراطورية العثمانية وإحلال كيانات مجزئة يرتبط كل كيان بحصة الدولة المستعمرة وفق إتفاقية سايكس بيكو . كان العراق من حصة بريطانيا ، وواقع العراق حينذاك قد خرج من ثورة العشرين وتوحد أكثر عندما تمت سيطرة الإنكليز بفرض معاهدة ١٩٢٢ الظالمة معاهدة الإحتلال . كان قيام دولة العراق قد أملته الضرورة أولاً لأنه مطلب عراقي نادت به ثورة العشرين ، وتبلور جيداً في بداية العشرينات .

وثانياً أن الإنكليز كانو بحاجة لقيام دولة بعد فشلهم بربط العراق بالتاج البريطاني في الهند . وكانت هذه الدولة في نظرهم تخفف على الأقل من حدة النزاع القائم بين الشعب العراقي الموحد في كفاحه لنيل الإستقلال والسيادة الوطنية وبين الإنكليز كقوة تتحمل عبء مصروفات الجيش المحتل . لذلك فإن سلاح الطائفية والعنصرية لم يكن له دور أو أثر مهم في مجتمع العراق الموحد ضد عدو محتل .

والحال يختلف كلياً عما كان عليه العراق قبل قرابة قرن من الزمان . جاء الإحتلال وفي جعبته مشروع بريمر الذي إبتدأ أولاً بتحطيم الدولة العراقية وحل الجيش العراقي وإنهاء مؤسسات الدولة السياسية والمدنية والإجتماعية والخدمية ، وسمح للغوغى أن تعم القطر فإنطلق الغوغاء والشقاة والحواسم ينهبون ويسلبون ويحرقون مؤسسات الدولة .

أعقب ذلك قرار الحاكم بريمر بتشكيل مجلس السبعة القائم على أسس طائفية وعرقية أعقب فشله مجلس الحكم وهو مجلس طائفي عنصري تبنته مع الأسف كافة الأحزاب السياسية التي شاركت في مجلس الحكم رغم إن بعضها قبلته على مضض . ولما كان الوضع السياسي العام والحالة هذه قد إنتقل الى سيطرة الدين شكلاً ، فقد تلقفت الأحزاب ذات الصبغة الدينية والعنصرية مبدأ المحاصصة هذه (الطائفية والعنصرية) كهدف أسمى لتحكم البلاد بعد تعميق الطائفية المذهبية .

وهكذا إستفحل سلاح الطائفية وما جره من مآس ليحرف الشعب وتكوينه المجتمعي المكون من فئات وطبقات الى خلافات يعاني منها الشعب ، إذ إعتبرته مقسماً الى فئات دينية وعرقية ضمن الحركات الدينية ، وأهملت حقيقته وإعتبرتها كأن لم تكن في قاموس الحكم.

×يعتقد البعض أن التيار الديني الطائفي قد فشل في قيادة المجتمع العراقي وبناء مؤسساته الديمقراطية في ظل فرصة ذهبية قد منحت له ، فهل ترون تحميل هذا التيار الفشل كله ؟ .

-أرى أن الذي في طريقه الى الفشل هو مشروع بريمر المبني على المحاصصة الطائفية والعرقية . والخطأ الذي وقعت فيه التيارات الدينية هو تبني هذا المشروع «البريمري» الطائفي . لقد تلقفته وعمقته وإعتبرته نهجاً للحكم الذي بنته على المحاصصة . تدور الآن في أعقاب الإقرار بفشل المحاصصة مقترحات ومشروعات ، ومن الواضح أن التعديلات التي تضمنتها بعض المشروعات تتجاهل عن عمد واقع الشعب العراقي الذي كان قد إنقسم منذ زمن طويل الى فئات ومراتب إجتماعية لها مصالحها المتعددة والمتناقضة ويلعب التنافس والتناحر فيما بينها وبين خصومها المستغلين دوره في مسارها المستقبلي . هذه الحقيقة الصلبة هي واقع المجتمع العراقي ، ولا يمكن لأي غطاء أن يزيله أو يتجاهله.

هذا الحوار سبق ان نشر في المدى عام 2009

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2458)
السنة التاسعة
الخميس (18)
نيسان 2012

الأهمية التاريخية في مؤلفات سالم عبيد النعمان

سلام أحمد
عضو اتحاد المؤرخين العرب

النعمان في حديقة داره

شيء رائع وجميل ان تستذكر وتحي جريدة المدى الغراء رموز العراق من الرجال والنساء المياميين ومن مختلف مجالات الحياة من الفكر والسياسة والفن والأدب ، أولئك الصادقين مع أنفسهم ومع الآخرين ، يعتزون بما يؤمنون به ، ولكنهم لا يحتقرون ولا يلغون من يختلفون معه في الرأي والفكر ، ومنهم المستهدين بالنظريات العلمية في تفسير وتحليل الأمور والأحداث ، لا يتفاقون ولا يتلونون ، وهذه سمة مع الأسف نفتقدها الآن.

ونحن هنا في هذا العدد نستذكر رجل رحل عنا قريباً وهو الاستاذ سالم عبيد النعمان وهو يعد من الرجال الذين يقف المرء عندهم بالاحترام والتقدير رغم الكثير من نقاط الاختلاف والتقاطع معهم بهذا الجانب أو ذاك ، ورغم أني لا أعرف الكثير عن تفاصيل حياته السياسية والمهنية الطويلة ، ولكني عرفت أنه من الشيوعيين العراقيين القدماء ، انه من الأوائل الذين وهبوا حياتهم وفي عز شبابهم لهذا الحزب العراقي العريق ، ذو التاريخ النضالي الوطني والمبدئي المجيد في الحياة العراقية .

رجل من الرجال الذين بدأنا نفتقدهم في الحياة المعاصرة ، على صعيد الحياة العامة في احترام الآخرين سواء عدم التجاوز على مخالفيهم في الرأي ، عدم سحق إنسانية الآخرين ، العفة والنبل وسمو الخلق رغم الإشاعات والقصص الملفقة عنهم ، وعلى صعيد العمل السياسي فضح السياسات الخاطئة ونواياه وممارسات الاستعمار البريطاني ، وفساد السلطة الحاكمة واذنابها من الانتهازيين والمتلونين ، المساعين في توعية الشعب بحقوقه ومصالحه الحيوية ، ونشر الثقافة العامة ، وتبسيطها للعموم الشعب ، وتشجيع الأدباء والشعراء في نتاجاتهم الأدبية لطرح معاناة الإنسان العراقي والتعريف بالثقافات الأجنبية من أجل رفع مستوى الوعي السياسي العام ورفع الحس والتذوق الأدبي والفني .

وكل هذا نستطيع أن نلخصه كما وصفه أحد أبناء العراق من جيله ورفاقه بقوله [كنا دراويش في الإخلاص والحب للوطن والحزب] والدراويش هنا تأتي بمعنى التفاني ونكران الذات في حب الوطن والشعب والإخلاص لقضاياه ، والسعي والعمل لرفع مستوى الحياة العامة وبالتالي رفع مستوى مفردات الحياة اليومية للإنسان العراقي بشكل إنساني وليس مصالح شخصية ضيقة أو مصالح طبقة أو فئة صغيرة على حساب المجموع ، من خلال الإيمان بالفكر السياسي لحزبهم والالتزام بأنظمته الداخلية وأساليب عمله السري والعلني بين الناس .

ونقرأ في كتابه [نصف قرن من تاريخ العراق] والذي عرض موجز لتاريخ الحركة الوطنية العراقية من سنة (١٩٠٠ ولغاية ١٩٥٨م) والصادر من مؤسسة المدى عام ٢٠١٢ ويذكر في مقدمة كتابه هذا : الواقع ان الدراسة التاريخية تتطلب أكثر من مجلد لمن أراد التوسع ، وأظن أن العرض الموجز فيه الكفاية ، ولقد أجتهدت أن أجمل هذه المراحل في أبواب ثلاثة .

الباب الأول : يبدأ منذ الانقلاب التركي عام ١٩٠٨م وينتهي بتوقف ثورة العشرين المجيدة ، ففي تلك السنة ١٩٠٨م بدأت حركة النهضة العربية في تنظيمات ونوادي ومنتديات أقرب إلى الحياة الحزبية ، ثم تطورت إلى أحزاب ومناهج وأهداف متخذة من التيار العربي قاعدة لايديولوجيتها نابذة الرابطة الدينية كأيديولوجية لنشاطها السياسي أو أشراك الدين السياسي في الحكم ، كما توضح في خطباء أفكار المؤتمر العربي المنعقد في باريس عام ١٩١٣م والذين أكدوا بان النزعة الدينية التي تتستر بها الدولة العثمانية للشعوب الرازحة تحت حكمها قد فشلت في حل الخلاف الذي حدث بينها وبين الدولة الفارسية (الإيرانية) على الحدود وهما دولتان إسلاميتان تحكم شعوبها باسم الدين ، وقد جر هذا الخلاف إلى مأسي وحروب شملت الشعوب الإسلامية المجاورة وبخاصة في العراق ، كما فشلت الأيديولوجية الإسلامية وعمقت الخلافات في كل بلد إسلامي حكمته ، وخلص مؤتمر باريس على لسان خطبائه من أن للعرب حق أمة لها كيان قائم بذاته حق شعب له الحق في تقرير مصيره في الاستقلال والسيادة الوطنية والانفصال عن الدولة العثمانية .

كما عالج الباب الأول أيضاً الغزو الاستعماري البريطاني للعراق الذي ابتدأ من ٦ تشرين الثاني عام ١٩١٤م فصار العراق ميدان للمعارك بين الإنكليز والأتراك وما جر ذلك على العراقيين من الآم التهجير وويلاتها وما رافق تلك الحروب من قحط وغلاء أسعار وكلها قد تحملها العراقيون المعتدى عليهم .

والباب الثاني : عالجت فصوله الصراع بين الشعب العراقي والحركة الوطنية من جهة وبين الاستعمار البريطاني من جهة أخرى ابتدأ من العشرينات فقد فرضت القوى الاستعمارية بالقوة معاهدة الانتداب والاحتلال عام ١٩٢٢م ولغاية الثلاثينات من القرن المنصرم ، حيث تبنى الشعب العراقي اسلوب الكفاح السلمي الذي أملاه أخفاق ثورة العشرين لعدم توازن القوى بين الاستعمار البريطاني المسلح باحدث الاسلحة والعدد الفتاكة بقيادة عسكرية مجربة تجاه شعب مكافح يرفض الاستلام وليس له قيادة موحدة ، ولقد لخص مؤتمر الكاظمية المنعقد سنة ١٩٢١م برئاسة الشيخ مهدي الخالصي رفضه للانتداب وما يعنيه هذا الكفاح السلمي في فضح الاستعمار وأساليبه بعد دراسة لتوازن القوى التي حسمت ثورة العشرين إن من النهج السياسي الذي يجب ان يتبنوه هو اسلوب الكفاح السلمي ضد المستعمر ، وطور هؤلاء الرجال العظام كما يذكر الاستاذ سالم عبيد النعمان في مقدمة كتاب [الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد اعادة تأسيسه واكتمال بناءه واكتمال دوره الفاعل في الحركة الوطنية] المطبوع عام ٢٠٠٧م من قبل مؤسسة المدى معالم ومضامين هذا الخط السياسي في الوثيقة التاريخية التي عرفت وقتها بالبيعة المشروطة .

والجدير بالذكر ان الذين خطوا هذه الوثيقة التاريخية هم المثقفون ابناء المجتمع المدني والملأ البغدادي والكاظمي الذين دعوا إلى هذا الاجتماع الرسمي وتحدوا سلطة الاحتلال بوثيقتهم هذه المعبرة عن طموحات الشعب العراقي واهدافه ، وقد حظي هذا الاجتماع التاريخي برعاية وارشاد ودعم من الشيخ العلامة مهدي الخالصي رجل الدين الحضاري المستنير الذي قاد الحركة الوطنية ووقف وجها لوجه ضد الاستعمار وسارت الجماهير العراقية وراء قيادته باسلوب النضال السلمي ، الذي كان في مقدمة المبادرين له ، وتحت قيادته الشجاعة والجريئة التي رفضت ابرام معاهدة الاحتلال عام ١٩٢٢م من خلال اسلوب الكفاح السلمي عن طريق المظاهرات والاجتماعات والعرائض الاحتجاجية ومن ثم الدعوة لمقاطعة انتخابات المجلس التأسيسي المكرس لابرام معاهدة الاحتلال ، ولم يهدأ الاستعمار وصنيعته الحكومة الا بالتخلص من هذا القائد الكبير ونفيه خارج العراق في حزيران عام ١٩٢٣م .

وتمثلت اساليب النضال السلمي ببث الوعي بين الناس باتجاه أسلوب العرائض الاحتجاجية التي تفضح جرائم الاعتداء البريطاني على أبناء الشعب العراقي وأسلوب الاجتماعات والتجمعات والإضراب والتظاهر في جميع الاماكن المتاحة كاجوامع والحسينيات وبث الوعي بين الناس بعد ان لجأ الاستعمار إلى منع الصحف الوطنية وإلغاء أجازاتها لقتل الحركة الوطنية ، فكانت العشرينات التي تميزت بكفاح النوادي والمنتديات بكل الوسائل والسبل من أجل انهاء معاهدة عام ١٩٢٢م وتحقيق الاستقلال الوطني وطرد المحتل البريطاني فكانت النوادي في بغداد والموصل والبصرة أليات مؤثرة لهذا الغرض النبيل .

أما الثلاثينيات فقد تميزت بأحداث مهمة لعل أهمها ابرام معاهدة سنة ١٩٣٠م الاستعمارية الجائرة وظهور الفوارق الطبقية بشكل واضح بين فئات الشعب العراقي فقد صدرت قوانين تصب في مصلحة الشيوخ والإقطاعيين كقانون التسوية وقانون اللزمة التي وسعت أملاكهم ونفوذهم وصدور قانون الاستهلاك الذي نقل عبء الضرائب على المستهلكين وخفض من عبئها على المستثمرين ثم قانون حقوق وواجبات الزراع رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٣م الذي الزم الفلاح بالبقاء في الارض التي يزرعها لصالح المالك ما لم يحصل من المالك على وثيقة تثبت براءته من دين لهذا الملاك ليكون أشبه بالقن في القرون الوسطى .

كذلك تميزت الثلاثينيات في انقسام الطبقة الحاكمة على نفسها ، بعد وفاة الملك فيصل الأول والعصيانات والتمردات والثورات الفلاحية ضد وزارة الهاشمي ثم انقلاب بكر صدقي الذي حدث بمساعدة جماعة الاهالي بايديولوجيتها التقدمية التي كانت غطاء الصادر بعد القاء قنبلتين نوويتين على هيروشيما وناكازاكي اليابانيتين من قبل امريكا وصدور نداء استوكهولم الداعي للسلام ، ومن ثم عقد اتفاق مبدئي مع طه الهاشمي رئيس حزب الجبهة الشعبية وكانت خطوة ايجابية وبداية لقيام حزب او اكثر بهدف تكوين جبهة موحدة وساعدت احداث فوز الدكتور مصدق في ايران وقيام الثورة المصرية بقيادة جمال عبد الناصر في مصر ومن ثم انعقاد مؤتمر باندونغ الذي كان نقطة تحول اساسية لصالح الحركة الوطنية العراقية وفي مجرى هذا الصراع اتخذت الحركة الوطنية تكتيكا جديد هو العمل بجدية على تشكيل جبهة وطنية موحدة توحد الاحزاب الوطنية في جبهة واحدة وهذا ما حصل في ابتداء تشكيل حزب المؤتمر الوطني في ١٦ حزيران عام ١٩٥٦م الذي انعقد بين حزبي الوطني الديمقراطي والاستقلال واعقبه انعقاد الكونفرس الثاني للحزب الشيوعي العراقي في ايلول عام ١٩٥٦م حيث توحدت قبله تنظيمات الحزب الشيوعي المنقسمة على نفسها بعد ان حلت نفسها وانخرطت في الحزب الشيوعي الام [منظمة راية الشغيلة ومنظمة وحدة الشيوعيين برئاسة عزيز شريف] .

وكان العدوان على مصر بداية انتفاضة سنة ١٩٥٦م التي كان لها أهمية كبرى فضلا عن كونها كانت تأييداً لمصر ضد العدوان الامبريالي كانت في الوقت نفسه تنادي بسقوط النظام الملكي وسقوط حكومة نوري السعيد وتحرير العراق نهائيا من حلف بغداد والأحلاف الأخرى ، وقد تميزت هذه الانتفاضة باندفاع جماهيري تخطى الأحزاب الرسمية المجازة اذ لم تكن بغداد وهي قلب الحركة الوطنية ومركز قيادة القوى السياسية هي السباقة بل كانت المدن العراقية قبلها هي المحرك الاول للانتفاضة وربما تكون مدينة النجف هي المبادرة الأولى ومدينة الحي هي التي استجابت فوراً لها ثم انتشرت هذه الانتفاضة المندفعة في اماكن اخرى في الجنوب والوسط والشمال ، وكان الحزب الشيوعي العراقي هو السباق في الالتحام بهذه الانتفاضة فوراً اذ شارك كادره المجرب بتسلم القيادة المبكرة في النجف إلى جانب القوى القومية والدينية فيها ، وكان لاستغلال نوري السعيد الوضع وايغاله في سحق الانتفاضة دون ان يعبئ بالقتلى الذين سقطوا في النجف وفي الحي أو في غيرهما الأثر الذي كشف انعزال هذه الحكومة وهشاشتها وضعفها وكذلك اظهر عجز حلف بغداد امام هذا الاندفاع الجماهيري الذي لا حدود له ، ومن نتائج هذه الانتفاضة وحركة الشعب العراقي التحاق عدد من الضباط الكبار [الضباط الاحرار] والانتماء إلى التنظيم العسكري الذي كان المنتمون فيه لاحقاً وسابقاً يتسابقون في احراز قصب السبق في اقتحام قلعة الحكم واسقاط النظام الملكي بعد ان اثبتت انتفاضة تشرين بان هذا النظام سائر في طريقة إلى الزوال ، لانه لم يعد يمتلك مقومات البقاء مما سهل على حركة الضباط الاحرار بمساندة جبهة الاتحاد الوطني مجتمعة في اسقاط هذا النظام واعلان الحكم الجمهوري .

رحل سالم عبيد النعمان.. فهل وفينا؟

طارق الجبوري

ما زال الكثير منا نحن جيل "الأمل والحلم" والانكسارات يستذكر نماذج لساسة كبار كرسوا حياتهم لخدمة ما يؤمنون به وضحوا بالكثير من أجل شيء كبير اسمه الوطن والشعب وآمنوا أنهما واحد.. بعضهم فارق الحياة قبل أن يرى أو يلمس رياح التغيير تبشر بالجديد الآتي ،

وآخر امتد به العمر ليرى هذا التكالب المشين على المنافع وتزييف الشعارات والتلاعب بالمبادئ ، فأثر عدم دخول هذا السباق رافضاً ما أتيحت له من فرص التمتع بمنافع الوضع الجديد والسلطة ، لكنهم لم ينسحبوا من ساحة العمل فاجتهدوا لممارسة دورفي تصحيح ماآلت إليه الأوضاع فبقوا قامات سامقة أمام شعبهم ممن لم يخدعه زيف الشعارات. مثل هؤلاء نادرون لكنهم مؤثرون لأنهم قدوة تعلمنا منهم أن نفرق بين صدق المبادئ وزيفها ، وأن لا نفقد الأمل أبدا ومنهم نلك الرمز الوطني الكبير سالم عبيد النعمان الذي رحل مخلفا إرثا من القيم الكبيرة جسدها في سيرة حياة حافلة بالأمل والتفاؤل رغم كل الانتكاسات التي مرت بها التيارات الوطنية وذاق هو وألاف غيره مراراتها . قد لا يكون هنالك ما يمكن أن نضيفه بعد كل تلك الكلمات والجمل المعبرة التي سطرها الأستاذ فخري كريم ونشرتها الجريدة في الخميس الثالث والعشرين من هذا الشهر بحق هذه الشخصية ، وقد لا تكون هنالك مناسبة غير تلك الوصية التي تركها لنا ربما لنعتبر بمعانيها وصية من عدة كلمات طلب فيها أن يوارى ثراه في إقليم كردستان ليجسد من خلالها أنصع صور الإيمان بوحدة الوطن وشعبه بعيداً عن ضجيج الأدعياء والمنتفعين وشعاراتهم الكاذبة ، لكنا كجيل مكلوم عاش عذابات الضمير أحيانا ، وصحا متأخرا على زيف الانتصارات الوهمية ، أحوج ما نكون إلى أن نتوقف عند أمثال سالم عبيد وسجاياهم ، علنا نقترب بعض الشيء منهم ، كما أنه قد يكون بعض وفاء . فنحن وغيرنا ممن يعيش زمن المزايدات السياسية وتزييف المبادئ والقيم ، نحتاج إلى هؤلاء علنا نصعد ونصبر لتصحيح معادلة غريبة تسيدت فيها تيارات وشخصيات لا تجيد غير الكذب فهيمنت على ساحة العمل السياسي بعملية أشبه ما تكون بالتنويم المغناطيسي للملايين المسحوقة ، مجاميع استمرأت اللعبة فتطاولت على القانون والدستور وانتهكت الحقوق وتلاعبت بالمال العام .. زمن غريب لا يصلح لتقييمه كل ما عرفناه من مقاييس .. زمن صار فيها الوطني الحقيقي غريباً ومهمشاً في وطنه والمتمسك بالمبادئ "كماسك جمرة من نار" . لا أعرف الراحل سالم عبيد شخصياً ولم ألتق به ولكني قرأت له وسمعت عنه ، وعرفت من أمثاله الكثير ممن جاءوا وشردوا وضاقت بهم سبل الحياة ، لكنهم لم يخونوا مبادئهم ولم يهادنوا فظلوا كباراً في الضمائر وحاضرين في نفوسنا عند كل كبوة تصيبنا وما أكثرها في هذه الأيام ، لذا يعز علينا كثيراً أن نرى بعد كل ما قدمه هؤلاء الباذلون الصادقون من يتجرأ ويحاول تقسيم الوطن بمسميات وتنوعات ما عرفها العراق طيلة نضاله الوطني حتى في أحلك الظروف. نعرف أن سالم عبيد وأمثاله أكبر من كل كلماتنا ، لكنها مرة أخرى تعبير وفاء ومواساة لنا كمؤمنين بالتيار الديمقراطي عسى أن تعيننا لنتصر لأنفسنا ونزيل هذا الضعف البادي فيها .

فهل وفينا ؟ لا أعتقد !

سالم عبيد النعمان الذاكرة الحية التي ارخت نضال الشعب العراقي

زين أحمد النقشبندي

أعلام العراق ليسوا كأعلام غيره من البلدان والدول وخاصة رموز الحركة الوطنية العراقية الذين إذا نظرنا أليهم وإلى تاريخهم النضالي بعيداً عن التحيز والحزبية والطائفية والقومية سوف نخرج بمعلومة مهمة جداً وهي أننا قد لانصدق أنفسنا ولا يصدقنا الغير ، لظهور بل وجود هكذا أناس بلغوا ما بلغوا في التضحية والصبر والإيثار ونكران الذات والتحمل والابداع في خلق متطلبات العمل النضالي في تلك الايام لاجل ان يصل العراق إلى مصاف الدول المتقدمة التي يشار اليها في تلك الاعوام .

وقد كنت دائماً أثناء استذكار مراحل من تاريخ العراق في العهد الملكي والجمهوري أستشهد بأقوال الأعلام الذين كانوا مازالوا يعيشون بيننا من رموز الحركة الوطنية الذين عاصروا هذه الأحداث مسجلا بعض أرائهم التي كما أتصور لها أهمية كبيرة في تفسير تلك الأحداث كونها لم تكن انطباعاً أنياً خضع لضغوط تلك المرحلة وتداعياتها وتأثيراتها الايديولوجية ، فهذه الأراء والانطباعات كانت في الكثير منها مغايرة لما هو مسجل ومتداول ، كونها جاءت بعد وضوح الصور وتكاملها ومعرفة أغلب الجوانب التي قد أحاطت وأدت إلى حدوث ما حدث وتفسير كل طرف مشارك فيها ، وأعلام العراق في هذا المجال هم ليسوا كأعلام باقي الدول والبلدان .

وفي السنوات الأخيرة رحلوا عنا الواحد بعد الآخر ، دون ان نحس بهم ونكلف أنفسنا مشقة السؤال وتسجيل كل تلك الملاحظات والانطباعات والاراء التي تكونت لدى هؤلاء الأفذاذ من التجربة المريرة والممارسة العسيرة لتكون الضوء المنير لكل من أراد المسير في هذا المشوار ، ولصاحب كل قرار .

ومن الشخصيات التي أسعدت كثيراً عندما القيت بها الأستاذ المرحوم سالم عبيد النعمان الذي كنت قد سمعت به أول مرة وأثار اهتمامي ما ورد في الحديث عنه من كلام ، أثناء زيارتي للدكتور كمال مظهر أحمد في مكتبه في كلية الأداب / قسم التاريخ - جامعة بغداد في تسعينات القرن الماضي عند حديثه عن الرموز الأحياء من الحركة الوطنية ، اذ كان حينها الدكتور عادل تقي البلداوي يعمل على رسالة الماجستير عن الحزب الوطني الديمقراطي وشاءت الصدف ان جاء بعد ذلك إلى شارع المتنبي يبحث عن كتب فالتقيته أول مرة وجها لوجه ، وقد انبهرت بما كان يحمل من خلق وثقافة ومعلومات وأطلاع وتحليلات علمية واقعية وأراء جريئة عن الكثير من الأحداث والشخصيات العراقية التي لعبت ادوار وتركت بصماتها على سجل الزمن العراقي من قادة احزاب ووزراء وكتاب ومفكرين ، وكنت قد زرته مرات عديدة في بيته العامر في منطقة حي العدل ببغداد برفقة السيد عمار الزهاوي حفيد الاستاذ حسين جميل ، الشخصية الوطنية المعروفة ، سكرتير الحزب الوطني الديمقراطي والزيارة الاخيرة له كانت برفقة الاستاذ صلاح عبد الوهاب من الحزب الوطني الديمقراطي .

ومن الأشياء التي قد لا يعرفها الكثير عن الأستاذ النعمان أنه كان من الشخصيات التي اعتمد عليها وبشكل كبير في دراسته المهمة عن العراق والتي تقاطعا مراراً وتكراراً حنا بطاطو صاحب أبرز دراسة مرجعية صدرت عن العراق في القرن الماضي ، وكنت قد سألت الأستاذ النعمان في أحدى المرات بعد عام ٢٠٠٣ عن مدى مصداقية المعلومات التي أوردها حنا بطاطو في كتابه وخاصة ما يتعلق بالحزب الشيوعي فأجابني بأنه كان أميناً في نقل المعلومات ونذكياً في الطرح وفي توظيف المعلومات التي حصل عليها ، وبخصوص الاشارات التي وردت في الكتاب المترجم من قبل عفيف الرزاز والصادر في ثلاث مجلدات والمتعلقة به ، قال لي الاستاذ النعمان : ان ما أورده عني صحيح ولكن هناك بعض الأشياء البسيطة المعروفة من قبل العراقيين اشتبه بها بطاطو وهذا شيء غير مهم إذا ما قورن بالدراسة الممتازة والمتميزة التي قدمها لنا هذا الشخص وبخصوص السر الذي كان وراء فتح كل البوابات المغلقة ووضع كل المعلومات والمصادر التي لم يسبق لأحد من العراقيين أن أطلع عليها فكيف مع غير العراقيين من السجلات السرية لمديرية الأمن العامة وملفات الشرطة السياسية وتقارير الاستخبارات البريطانية والعراقية وأدبيات شيوعية كثيرة ونادرة ، اضافة إلى السماح له باجراء العديد من اللقاءات مع الكثير من القيادات اليسارية والشيوعية خاصة واعطاءها الحرية في الحديث دون أي قيد أو شرط ، واجراء اللقاءات مع من يشاء من قادة الاحزاب والمفكرين والمعتقلين في السجون ، كل هذه الاشياء تضع كل متابع أمام تساؤلات عديدة وكثيرة أهمها لماذا سمح لهذه الشخصية بالذات في تلك الفترة [أثناء تولي العديد من حكام البعث الحكم في العراق] بكتابة هكذا دراسة ، وفي نفس الوقت كانت الرقابة تمنع دخول كتب أو تداول صحف أو مجلات أو أفلام ، ولا تسمح لأي باحث أكاديمي أو صحفي الكتابة أو الاطلاع على أشياء بسيطة اذا ما قورنت بما كان يعمل عليه بطاطو ، بل أن ضبط كتب أو صحف أو مجلات تعود لغير الحزب الحاكم (البعث آنذاك) كان جريمة يعاقب عليها القانون وتعرض الشخص الذي تعود له هذه الأشياء للسجن والمطاردة والمراقبة .

وعندما وضعت كل هذه التساؤلات أمام الأستاذ النعمان ذكر لي أنه شخصياً جاءه بطاطو ووجه له أسئلة وقد أمتنع في البداية عن الاجابة عليها حرصاً على سلامته وحتى لا يضع نفسه موضع التهم، ولكن فيما بعد اتصلت به أحدى الجهات الأمنية الحكومية وطلبت منه الاجابة على كل الأسئلة بكل حرية وصراحة ، وان يقدم كل ما لديه من معلومات ، وان يساعد بطاطو ، واضاف بعدما تيقنت أنه فعلاً يقوم بكتابة دراسة وانه سوف ينشرها في أمريكا وللعلمي وتأكد من صدق مسعى الرجل ، تعاونت معه .

فقد وردت في كتاب بطاطو الجزء الثاني الحزب الشيوعي ص ١٤٢ أول أشارة للأستاذ النعمان في موضوع الحديث عن نجاح فهد في جعل الحزب بين عامي ١٩٤١- ١٩٤٧م قوة متماسكة وفعالة وبنى قاعدة جماهيرية من الدعم والايمان لما يتمتع به من ملامح فردية متميزة وعلى الرغم من ان شخصيته بقيت محاطة بأراء متناقضة حيث يسبغ عليه أتباعه فضائل خيالية ويعزو اليه أعدائه عيوبا خيالية ، فقد كان يميل خلال الاجتماعات القليلة غير الشيوعية التي حضرها إلى البقاء مغلقا على نفسه وكان يتحدث باختصار شديد اذا ما تحدث ، وحتى عندما يخلوا إلى أتباعه كان يزدري المناقشات الطويلة التي لا شكل لها .

ولكن مريديه أو السياسيين الليبراليين الذين تحدثوا أليه وجها لوجه يقولون أنه عندما كان الأمر يتعلق بشرح أحدى نقاط العقيدة أو توضيح خط سياسي فانه كان أقل بخلا بالكلمات ، وكان على مدير الأمن بهجت العطية ان يقاطع فهد ذات مرة بعد اعتقاله في عام ١٩٤٧م محتجا بانه ليس مهتما باعتناق الشيوعية ، وفي وقت لاحق ذكر العطية لبطاطو ان لدى فهد حجج اقناع قوية وله موهبة تفسير الامور بطريقة واضحة وبسيطة وأضاف مع ذلك لم يكن فهد يمتلك ثقافة واسعة جداً ، ويشارك الكثير من رفاق فهد رأيه هذا في فهد ، واذا كانت كتاباته تشكل برهانا فانه يبدو وكأنه استوعب افكار ماركس ولينين أكثر من أي شيوعي عراقي أخر .

وقد أكد لي الأستاذ النعمان خلال اللقاءات العديدة التي التقيته بها في أمريكا وللعلمي وتأكد من صدق مسعى الرجل ، تعاونت معه .

والاشارة الثانية للأستاذ النعمان في ص ١٨٨ من نفس الجزء المترجم وكانت حول (النضال الثوري) فبعد ان أصبح فهد سكرتيرا عاما للحزب في تشرين الاول عام ١٩٤١ .

ففي عام ٢٩ كانون الثاني عام ١٩٤٦م وبعد قليل من أقامت اذربيجان المستقلة ذاتياً وجمهورية مهاباد الكردية في المنطقة التي يحتلها السوفيت من إيران المجاورة ، وفي أجواء تعمق الاستياء بالارتفاع المستمر لتكاليف المعيشة واستمرار انكار الحريات السياسية عاد فهد إلى توجيه سياسة الحزب بحدة باتجاه اليسار ، وأكد بوضوح ان الطريق [الصحيح لحركة تحريرنا الديمقراطية هو طريق النضال الثوري] وان الاعتماد على تحريك وعي وزراننا أو وعي الاستعمار البريطاني لن يقودنا خطوة واحدة إلى الأمام باتجاه تحقيق أهدافنا وكان الحزب قد عاش كل الوقت يعمل سراً وبكلمات أخرى فان صيغة وجوده نفسها كانت صيغة وجود ثوري ولكنه وضع المبدأ الثوري على الرف منذ العام ١٩٣٥م وهجر حتى الكلام الثوري ولهذا فان الملاحظة التي أدلى بها الان بدت جديدة كليا ولكن الدعوة إلى النضال الثوري لم تتمخض عن شيء ملموس في ذلك الحين وسرعان ما انحرفت أفكار الحزب نتيجة لأحداث استثنائية وغير متوقعة ، وبدأ ان نفحة من الليبرالية كانت تتحرك عند القمة القائدة في النظام الملكي ولم يكن الوصي غافلا عن حالة الشعور العام أو عن حقيقة ان السلطة الملكية لا تستند إلى أكثر من أساس سياسي ضيق ويبدو أنه بدأ يفكر في تجميع العناصر الأكثر وعياً من أبناء الطبقة الوسطى حول التاج بمنحهم حصة محدودة من الجسم السياسي وبتنفيذ اصلاحات اقتصادية واطلاق الحريات الدستورية وقطع الوصي عهداً على نظامه بالسير في هذا الطريق في خطاب غير اعتيادي ألقاه يوم ٢٧ كانون الاول عام ١٩٤٥م ، ومر شهر بطوله بعد ذلك دون ظهور أي علائم تغيير واحتجت الطبقات الراسخة المسيطرة مباشرة على جهاز الدولة خشية تراجع نفوذها وتزايد الشعور في الدوائر الشعبية بانه مما من تنازلات حقيقية آتية فعلاً [هذا ما أكده العديد من قادة الاحزاب في تلك الفترة في عام ١٩٥٧م لبطاطو في محاورات أجريت مع كل من كامل الجادرجي ومحمد حديد وحسين جميل من الحزب الوطني الديمقراطي ومحمد مهدي كبة وصديق شنشل وفائق السامرائي من حزب الاستقلال وعزيز شريف من حزب الشعب وسالم عبيد النعمان من حزب التحرر الوطني إضافة للملفات الشرطة السرية ومقابلة أجريت مع رئيس الوزراء الاسبق توفيق السويدي في عام ١٩٦٥م وكذلك الوثائق التي نشرها السيد عبد الرزاق الحسني في المجلد السادس والسابع من كتاب تاريخ الوزارات العراقية .

وبعد أن سقطت حكومة الباجه جي في ٣١ كانون الثاني عام ١٩٤٦م وعهد إلى توفيق السويدي بتشكيل الوزارة الجديدة في ٢٣ شباط عام ١٩٤٦م والتي استمرت ثلاثة أشهر كانت غنية بالاحداث المهمة ففي ٢ آذار ألغيت الحكام العرفية وانهيت مراقبة الصحافة وأغلق معسكر الاعتقال العراقي الوحيد ، وفي ٢ نيسان منحت خمسة احزاب سياسية رخصا لمزاولة نشاطها وهي حزب الاستقلال / عروبي ، وحزب الاحرار / الوسطي ، والحزب الوطني الديمقراطي / من يسار الوسط ، وحزب الاتحاد الوطني / اليساري ، وحزب الشعب / المتأثر بالشيوعية ، والأمر المثير للاهتمام كما يذكر بطاطو أن جميع قادة هذه الاحزاب يأتون بشكل أساسي من الطبقة الوسطى.

لهذا في ظل هذه الظروف الجديدة لم يعد لتكتيك النضال الثوري الذي تبناه الحزب الشيوعي في ك٢/ ، أي معنى ولهذا وضعه فهد على الرف وعلى العموم ورغم كل التطورات التي أحدثتها الحكومة الجديدة ، لم يكن لفهد رأي شديد الايجابية بحكومة السويدي ورفض منحها دعمه وبقي على حذر لان حزب التحرر الوطني وهو الحزب الاحتياطي المساعد للحزب الشيوعي لم يحصل على الرخصة الرسمية كما يذكر سكرتير حزب التحرر الوطني الاستاذ سالم عبيد النعمان لبطاطو في حديث [وللمزيد راجع ص ١٨٩ من الجزء الثاني] ولكن حرية العمل منحت لذلك التنظيم عمليا كما منح الاعتراف الكامل لجبهة شيوعية أخرى هي [عصبة مكافحة الصهيونية] مما قلل من أهمية معارضة فهد .

وبعد سقوط حكومة السويدي الغيت الحريات ولم تلغ الاحزاب رسمياً ولكن كبات أيديها وكمت افواه صحفها وقمعت كما لم يحصل في أي بلدان أخرى في ظروف مماثلة ، وكانت يد حكومة العمري بحق ثقيلة على الحزب الشيوعي وقبل ثلاثة أسابيع من استقالة هذه الحكومة وبعد اقرار الحزب منذ البداية التوجه للعمل المباشر وفي ٢٨ حزيران عام ١٩٤٦م نظمت [عصبة مكافحة الصهيونية] مظاهرة في بغداد شاركها فيها الحزب الرديف الحزب التحرر الوطني ، وسار فيها ثلاثة آلف عامل وطالب من الرصافة إلى الكرخ واقترابهم من السفارة البريطانية ، أنقض رجال الشرطة عليهم ولما فشلوا في تفريقهم بواسطة الهراوات أطلقوا النار عليهم من مسافة قريبة وقتل متظاهر واحد هو شاؤول طويق عضو الحزب الشيوعي وجرح أربعة ، وأصبح هذا الحدث تاريخيا بداية العاصفة التي وصلت ذروتها في الوثبة عام ١٩٤٨م ، وكانت هذه المرة الاولى في تاريخ الحكومات الملكية التي تطلق الشرطة فيها النار على المتظاهرين وقد أثار هذا الموضوع انتقاداً قاسياً من قبل كل أحزاب المعارضة في تلك الفترة بما فيها الاحزاب اليمينية ولكن سرعان ما غطت (مجزرة كاورباغي) على ما حصل يوم ٢٨ حزيران في بغداد ، فقد أضرب في ٣ تموز من نفس السنة حوالي خمسة الاف عامل من شركة النفط العراقية في كركوك بسبب التضخم وانخفاض الاجور وخنق النقابات كل هذه الامور مهدت لمبادرة الحزب الشيوعي في هذا الاضراب وطوال مدة الثمانية أيام كانت يد الحزب الموجهة واضحة في كل مكان ولما بلغ الاضراب ذروته يوم ١٢ تموز ، أطلق رجال الشرطة في محاولة منهم لتشتيت الاجتماعات وابلا من الرصاص على العمال ، وقتلوا مالا يقل عن عشرة منهم وجرحوا سبعة وعشرين ، وكان هذا الهجوم الوحشي قد اثبت الطرح الشيوعي القائل ان حكومة العمري كانت حارسا لشركات النفط وليس للعمال مما زاد من العمال الذين أخذوا ينظرون للشيوعيين على أنهم أصدقائهم الحقيقيون واجتاحت البلاد نقمة في أعقاب زيادة القوات البريطانية في الشعيبة وهي حركة أعلن انها موجهة ضد اضراب تود هلد الذي أعلن في حقول عبادان يوم ٢٦ تموز ، ولم يكن باستطاعة الحكومة ان ترد الا بالقمع ، ولكن القمع لم يفعل شيئا على المدى الطويل ولم يروع خاصر إلى كامل الجادرجي نفسه باسم حزب التحرر الوطني قال :[ذهلنا في البداية للأشتراك حزبكم في حكومة نوري السعيد ... لمعرفتنا بعمق الهوة التي تفصلكم عن جماعة من الناس عملت طوال حياتها السياسية على تعزيز المشاريع الاستعمارية ولكن بياناتكم العامة منذئذ القت الضوء على دوافعكم .... وعلى العموم فان قناعتنا هي ان نوري السعيد لا ينوي شيئاً اكثر من تجميع مجلس النواب باكثرية رجعية ومن ثم تشكيل وزارة تجدد المعاهدة مع بريطانية ، ولهذا نقترح عليكم اعادة النظر في مسألة تعاونكم مع هذه الحكومة ... انكم لا تفعلون أكثر من منحها ، في أعين الشعب والرأي العام العالمي ، صفات ديمقراطية هي منها براء كليا ... وكلما طال اشتراككم فيها ... سهل عليها أنجاز أغراضها الحقيقية [للمزيد راجع ص ١٩٣ من نفس الكتاب] .

عندما وضعت كل هذه التساؤلات أمام الأستاذ النعمان ذكر لي أنه شخصياً جاءه بطاطو ووجه له أسئلة وقد أمتنع في البداية عن الاجابة عليها حرصاً على سلامته وحتى لا يضع نفسه موضع التهم، ولكن فيما بعد اتصلت به أحدى الجهات الأمنية الحكومية وطلبت منه الاجابة على كل الأسئلة بكل حرية وصراحة ، وان يقدم كل ما لديه من معلومات ، وان يساعد بطاطو ، واضاف بعدما تيقنت أنه فعلاً يقوم بكتابة دراسة وانه سوف ينشرها في أمريكا وللعلمي وتأكد من صدق مسعى الرجل ، تعاونت معه .

في حينه حتى المعارضة ولم ينل من ارادتها ولم يفعل غير تعميق الفجوة بين الحكومة والشعب ولم يكن امام حكومة العمري غير الاستقالة في ١٦ تشرين الثاني وكما لم يحصل كثيرا في اللحظات الصعبة عاد رئيس الوزراء نوري السعيد إلى المسرح السياسي وإذا كان العمري يوجه ضرباته بشكل مكشوف فان السعيد كان يسير إلى أهدافه بالتواء ونادرا ما كان يفعل ما يبدوا انه يفعله فقد كان عمله الأول كرئيس للوزراء مميزا فقد وعد باجراء انتخابات حرة واطلاق الحريات السياسية وأغرى الاحرار والوطنيين الديمقراطيين بالانظمام إلى حكومته ، ولم تكن أي نية لنوري السعيد بفتح صفحة جديدة والوفاء بوعوده بل أنه استفاد من تعاون الوطنيين الديمقراطيين لمجرد استغلاله لمصلحته بشكل سيئ ، وكان تأثير ذلك على الاحزاب الثلاث الاخرى هو ما اراده نوري السعيد تماما فقد نسي هؤلاء مؤقتاً شجارهم مع النظام ووجهوا غضبهم ضد حلفائهم السابقين وكان حزب الشعب أقل بروزا في ذلك من الحزبين الاخرين ، وكان انتقاد فهد لهم بانهم أرتكبوا خطأ ، وأعتقد ان الهجمات الاذعة على زعيم الحزب الوطني الديمقراطي كامل الجادرجي كانت غير مناسبة وليس لها الا ان تؤدي إلى دفعه إلى أحضان نوري السعيد ، وفي أواخر تشرين الثاني أرسل رسالة بهذا المعنى بواسطة سالم عبيد النعمان إلى عبد الفتاح إبراهيم من حزب الاتحاد الوطني وعزيز شريف من حزب الشعب مؤكداً لهم بان الجادرجي قد انعطف يمينياً [ولابد من تعريته] .

وفي ٥ / كانون الأول وجه فهد نداء خاص إلى كامل الجادرجي نفسه باسم حزب التحرر الوطني قال :[ذهلنا في البداية للأشتراك حزبكم في حكومة نوري السعيد ... لمعرفتنا بعمق الهوة التي تفصلكم عن جماعة من الناس عملت طوال حياتها السياسية على تعزيز المشاريع الاستعمارية ولكن بياناتكم العامة منذئذ القت الضوء على دوافعكم .... وعلى العموم فان قناعتنا هي ان نوري السعيد لا ينوي شيئاً اكثر من تجميع مجلس النواب باكثرية رجعية ومن ثم تشكيل وزارة تجدد المعاهدة مع بريطانية ، ولهذا نقترح عليكم اعادة النظر في مسألة تعاونكم مع هذه الحكومة ... انكم لا تفعلون أكثر من منحها ، في أعين الشعب والرأي العام العالمي ، صفات ديمقراطية هي منها براء كليا ... وكلما طال اشتراككم فيها ... سهل عليها أنجاز أغراضها الحقيقية [للمزيد راجع ص ١٩٣ من نفس الكتاب] .

والاشارة الاخرى للأستاذ النعمان كانت موضوع في موضوع خيانة العضو المرشح السابق للجنة المركزية عبد الوهاب عبد الرزاق وتحوله إلى مخبر وافشائه للسلطات عنوان مقر الحزب في منطقة الهيتاويين ببغداد وكان من تداعياتها اعدام ابرز قادة الحزب الشيوعي .

ففي يوم ٩ تشرين الاول عام ١٩٤٨م وبعد ثلاثة أيام هاجم رجال الشرطة المنزل واعتقلوا المسؤول الاول مالك سيف وسلفه يهوذا صديق وعضو اللجنة المركزية جاسم حمودي وعدد من الثوريين الاخرين فبدأ الحزب الشيوعي وكأنه يتحول إلى رماد فقد تمزق الحزب واعتقل أفضل منظميه ومحرضيه وزج بهم في السجون وأكتشفت المئات من نوى الطلاب والعمال الشيوعيين ودمرت وحطمت الخلايا المعاد تشكيلها سريعا حتى قبل ان تثبت ، واكتشفت المطبعة السرية وصودرت اكوام من المراسلات بالشفرة واكتشفت كل الاسرار .

وساد شعور بالتفكك بين ما تبقى من الشيوعيين وغادر بعضهم البلاد وتردد بعضهم الاخر فيما يهدف اليه وفقد البعض الثالث اعصابه وهجر الحزب وتحدث كثيرون عن الحزب كما لو كان شيئاً من الماضي .

ولكن لماذا اختار عبد الرزاق طريق الخيانة مع ان عائلته قدمت في الماضي خدمات لا تقدر بثمن للشيوعيين ؟ هذا ما لا يمكن قوله دون الوقوع في الخطأ وهناك رأي يقول أنه كان يحمل في نفسه ضغينة ضد الحزب لان حسين محمد الشبيبي عضو المكتب السياسي عام ١٩٤٦م كان قد أقام صداقة في تلك الأيام مع شقيقة عبد الرزاق ولكنه رفض الزواج بها ، وكان فهد الذي استنكف عن كل علاقة حميمية مع الجنس الاخر لاسباب مبدئية وأمنية قد أوقف الشبيبي عن ممارسة وظائفه كافة ولكن هذا لم يرضي عبد الرزاق تماماً على ما يبدو في حين يؤكد الاستاذ سالم عبيد النعمان [انه كان محطما يومها ومعنوياته في الحضيض وانه تعب من العيش في الجحور والمخابئ] ويؤكد بطاطو ان من الواضح ان أيا من التفسيرين لدوافع عبد الرزاق لا يناقض التفسير الأخر ، وكان من أهم ما تمخضت عنه هذه الخيانة هو اعتراف صديق يهوذا بعد انهيار وكشف ان المسؤول هو مالك سيف ولما وجه سيف بهذا الكشف تخلت عنه شجاعته كليا وقدم اعترافا كاملاً وزود الشرطة بكل الادلة التي كانت تحتاج اليها ضد الحزب وكانت ردة مالك سيف نقطة البداية لبحث دقيق وواسع النطاق أوقع في شباكه مئات الشيوعيين كما أنها ادت إلى إعادة محاكمة الزعماء الرئيسيين بمحاكمة عاجلة ففي ١٠ شباط عام ١٩٤٩م أحضر فهد وعضوان من مكتبه السياسي هما زكي بسيم وحسين محمد الشبيبي أمام محكمة عسكرية شبه ميدانية ووجهت إلى الثلاثة تهمة قيادة الحزب من داخل السجن ، وحكم عليهم بالإعدام شنقا حتى الموت ونفذت الاحكام فجر يومي ١٤ و١٥ شباط وشنق الزعماء الثلاثة في ساحات مختلفة من مدينة بغداد الشبيبي عند باب المعظم ونسيم عند الباب الشرقي وفهد في فسحة الكرخ التي تسمى اليوم ساحة المتحف وبقيت أجسادهم معلقة ساعات عديدة من النهار لكي يتلقى الناس الانذار أثناء ذهابهم إلى أعمالهم .

ومن الأشياء الاخرى المهمة التي ذكرها لنا الاستاذ النعمان تأكيده رفض فهد بيان باريس الصادر في ١١ حزيران عام ١٩٤٨م والذي واجه انتقادات واحتجاجات في قاعدة الحزب عندما وصل البيان إلى سجن الكوت وبدأ أحد أعضاء تنظيم السجن الشيوعي بقراءته بصوت مرتفع في قاووش السجن أمر فهد بالكف عن ذلك بعد سماعه فقرات قليلة منه وفي النهاية تم رفض البيان في تأكيد للتقرير الصادر في أيلول عام ١٩٥٦م [ان بعض العناصر المشكوك بها نجحت في عام ١٩٤٨م من ان تدس في صفوف حزبنا وحركتنا مفاهيم خاطئة بالنسبة للصهيونية ... ومن بينها الافكار التي وجدت تعبيرها في بيان عنوانه (ضوء على القضية الفلسطينية) للمزيد راجع ص ٢٦٠ من الجزء الثاني من كتاب بطاطو] .

النعمان مع كاتب المقال

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير
عدنان حسين
مدير التحرير : علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
التصحيح اللغوي: نوري صباح
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

الاستاذ سالم عبيد النعمان

وداعاً

د. ابراهيم خليل العلاف

توفي الاربعاء ٢٢ شباط ٢٠١٢ وفي احد مستشفيات اربيل حيث كان يعالج من مرض ألم به الاديب والكاتب والقاضي الاستاذ سالم عبيد النعمان .والقاضي النعمان معروف الاوساط القضائية والسياسية والثقافية العراقية والعربية بكتاباته المتميزة .تخرج في كلية الحقوق بجامعة بغداد واسهم منذ بواكير شبابه في الحركة الوطنية العراقية وكان على صلة وثيقة بالمناضل والسياسي جعفر ابو التمن وقد انتمى الى جماعة الاهالي في الثلاثينات من القرن الماضي وصار مديرا مسؤولا عن جريدة الاهالي .يعد القاضي النعمان من ابرز الرجال العراقيين المؤمنين بحركة التقدم والحرية .وقد كان عضوا في المجلس العراقي للسلم والتضامن .التمس من الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة عدم تنفيذ حكم الاعدام سنة ١٩٥٩ بالشهيد رفعت الحاج سري وصحبه فوعده بذلك ولكنه عاد فأعدمهم وتألم الاستاذ النعمان لذلك وكان هذا من مواقفه المشهوده . كتب مجموعة كبيرة من الدراسات والبحوث والمقالات في موضوعات مختلفة منها عن فلسفة التشريع والوصية الواجبة وألف كتبا منها كتابه : « نصف قرن من تاريخ وطن » وكتابه « الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد » .بشر بفشل مشروع بريمر القائم على فكرة المحاصصة .كان وطنيا تقدميا فأستحق من الذكر والتقدير .رحم الله القاضي والسياسي والمفكر سالم عبيد النعمان

عراقيون
من زمن التوهج